التوهيم

حقيقته٠٠وطرقه٠٠وصوره

إعـداد

د/ محمد حسنى عبد الهادى موسى الجمل

مدرس البلاغة والنقد فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فى دمياط الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، قائد الغر المحجلين، محمد وآله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين٠

أما بعـد ٠٠

فهذا بحث يستعرض كثيرا من الصور التى قد يقع فيها المتلقى فى دائرة التوهيم، سواء أكان بقصد من المتكلم أم لا؛ لأنه إذا كانت عبقرية الأديب وبراعته تتجلى فى القول والتعبير، ومجاله هو النفس وليس العقل، وعمله فيها هو التأثير، فمن طرقه إلى هذا التأثير التمويه والخداع الفنى. فلهذا يحاول الأديب جاهدا فى تأدية معانيه إلى العدول فى أسلوبه عما درج عليه الناس وألفوه؛ وقد يجد ضالته المنشودة فى التعبيرات الرشيقة ذات الدلالات المتعددة التى تحدث بحيلها وتمويهاتها الفنية الإثارة والدهشة، والتساؤل والاستغراب، والمفاجأة غير المتوقعة لدى المتلقى، بحيث يشعر معها فيما بعد بلذة الكشف، ومتعة المواجهة لتمويهات المبدع، وحينما يكون الأسلوب على هذه الصورة يكون المتلقى شريكا فيه شركة بيان وكشف، ومن ثَم تتوثق علاقته به من ناحية، وبمنشئه الذى يراه فى آثاره وفى إبداعه من ناحيةأخرى٠

ولكن هذا لا ينفى وجود صور أخرى من التوهيم يلجأ إليها الأديب لإيقاع المتلقى فى دائرة الوهم؛ وذلك لغرض آخر كدفع ضرر عنه أو الخلاص من حرج وقع فيه٠٠٠إلخ٠

كما أن التوهيم قد ينشأ من جهة المتلقى نفسه بطريق الغلط أو السهو أو الظن، فيتوهم أن هناك خطأ ما وقع فيه الأديب، وأن الأولى التعبير بغير ما

ذهب إليه، والحق أن الصواب فى جانب الأديب؛ إذ نظرته للمعانى أعمق وأدق، وصياغته لها بالكيفية التى ارتآها لها مغزى وهدف٠

وقد لا يحتاط الأديب فى كلامه فيفهم المتلقى منه مالا يقصده، مما يعد هجنة يؤاخذ عليها. ولقد استعرضنا العديد من صور. هذا. النوع. من التوهيم المعيب، كما تطرقنا إلى ذكر كيفية إزالة هذا العيب، وذلك من خلال ذكر العديد من الوسائل التى ينبغى أن يفطن إليها الأديب حتى يكون بمنأى عن الوقوع فى هذا النوع المعيب ٠

وقد كنت حريصا . قدرالمستطاع . فى اختيار شواهدى على ما وقع فيه المخاطبون فعلا فى حيز التوهيم؛ وذلك لتكون أكثر قدرة على إيضاح المراد، وأكثر فاعلية وتأثيرا لدى القارئ ٠

٠٠هذا وأسأل الله ﷻ التوفيق والهداية، وأستمد منه المعونة والرعاية، إنه قريب مجيب، **وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ٠

التـوهـيم

أولا : التوهـيم فى اللغة واصطلاح البلاغيين :

التوهيم فى اللغة :

قال الزبيدى: " **وَهِمَ** في الحساب كوجل يَوْهَم وهَمَا: غلط وسها، و**وَهَم** في الشيء كوعد يَهِم وَهْمَا: ذهب وهمه إليه وهو يريد غيره كما في الصحاح، ومنه الحديث أنه وَهَمَ في تزويج ميمونة أي: ذهب وهمه٠٠٠وقال الأصمعي: **أَوْهَم**: إذا أسقط، و**وَهِمَ**: إذا غلط٠٠٠أو: **وَهَ**ـِمَ . كوعد وورث . **أَوْهَمَ**: بمعنى واحد، وهو قول ابن الأعرابى، وقال شمر: ولا أرى الصحيح إلا هذا، وأنشد ابن الأعرابى:

فإن أَخْطَأْتُ أَو أَوْهَمْتُ شيئاً فقد يَهِمُ المُصَافِي الحَبِيب

وقال الزبرقان بن بدر:

فبِتِلْك أَقْضِي الهَمَّ إذْ وَهِمَتْ بِه نَفْسي ولسْتُ بِنَأْنِإٍ عَوّارِ

و**تَوَهَّم**: ظن كما فى الصحاح، وقال أبو البقاء: هو سبق الذهن إلى الشيء، وأ**َوْهَمَه** إيهَامًا ووهمه غيره توهيما، أنشد ابن برى لحميد الأرقط * **بَعِيد تَوْهِيم المَوقاع والمنَّظَرْ * ٠٠٠ والتهمه**: كافتعله، وكذا. **أَوْهَمَه**: أدخل عليه التهمة٠٠٠أى : ما يتهم عليه، أى : ظن فيه ما نسب إليه٠٠٠**تَوَهَّم** الشيء: تخيّله وتمثّله كان في الوجود أو لم يكن، و.**تَوَهَّم** فيه الخير: مثل تفرّسه وتوسّمه، قال زهير: * **فَلأْياً عَرَفْتُ الدار بعدَ تَوهُّمِ** * " (١).

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدى: مادة " وهم " ـ تح / مصطفى حجازى وآخرين . الناشر / وزارة الإعلام بالكويت . مطبعة حكومة الكويت – ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ويقول الصفدى: " **الإيهام:** من الوهم، تقول: وهمت فى الشىء أوهم وهما: إذا غلطت فيه، فذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره، وأوهمت غيرى إيهاما، و**التوهيم** مثله، فهذا يناسب ما سماه أرباب البديع **(توهيما)** " [1].

فالمدلول اللغوى للتوهيم يدل على سبق الذهن إلى معنى ما، وهذا السبق قد يكون بطريق الغلط أو. السهو أو. الظن، وقد يكون التوهيم أيضا حاصلا بطريق التخييل، كما أن هذا التوهيم قد يقع فيه السامع بقصد من المتكلم، وقد يكون بغير قصد.

التوهيم فى اصطلاح البلاغيين :

عرض للتوهيم كل من ابن أبى الإصبع (ت٦٥٤هـ) وابن حِجة الحموى (ت٨٣٧هـ)، ولكنهما لم يذكرا له حدا، بل اقتصر صنيعهما على استعراض صوره، ونوه الحموى إلى أنه من الأولى أن ينتظم فى سلك باب التورية ويُذكر " التوهيم " مع إيهامها .

أما أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) فقد حده بقوله: " التوهيم هو أن تجىء لكلمة توهم أخرى"[2].

وكذا عرّف الصفدى (ت٧٦٤هـ) التوهيم مبينا فائدته بقوله: " هو أن يجاء بكلمة توهم كلمة أخرى مبالغة وليست مرادة عند المتكلم " [3].

ويلاحظ من تعريف ابن منقذ والصفدى " للتوهيم " أنهما يحصرانه فى دائرة الكلمة المفردة؛ إذ هو عندهما كلمة يترتب على وجودها توهم كلمة أخرى، كما هو الحال فى التورية، فترى ابن منقذ يمثل له بقوله: " ومنه للشريف الأجل الرضى ﷺ:

---

(٢) فض الختام عن التورية والاستخدام : للصفدى : ص ١٥٢ . تح.د/المحمدى الحناوى . دار الطباعة المحمدية . ط١ .١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٣) البديع فى البديع فى نقد الشعر: لابن منقذ : ص١٣٢. تح/ على مهنا . دار الكتب العلمية بيروت . ط١ .١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

إذا هتمَ التِّلاعَ رأيتَ منـهُ رُضَاباً فى ثَنِياتِ الهِضابِ[1]

فقوله: " الرضاب " يوهم ثنيات الأسنان، وإنما هى ثنيات الجبال "[2].

ويمثل الصفدى للتوهيم مبينا كيف أفاد معنى المبالغة فيقول: " ومثلوه بقوله . تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ**﴾[3]؛ لأن من لا يحسن التلاوة يتوهم . دَيْنَهم . (بفتح الدال) تمسكا بقرينة ﴿**يُوَفِّيهِمُ**﴾، فجعل الثواب دَيْنا من المبالغة. وللصحيح ما ذهب إليه أهل السنة أن الله . تعالى . لا يجب عليه شيء، وله عقاب الطائع وثواب العاصى "[4].

أما ابن زاكور الفاسى (ت ١١٢٠ هـ) فقد ورد تعريفه للتوهيم مبنيا على تفصيل بعض صوره فقال: " وهو اشتمال الكلام على ما يوهم تصحيف بعض ألفاظه أو تحريفه أو صرفه عن معناه أو متعلقه "[5].

بينما كان السيوطى مفهومه للتوهيم أعم وأرحب؛ إذ كشف عن كنهه بقوله: " ذكر لفظ يوهم خلاف المقصود "[6].

لأن (اللفظ) يشمل المفرد والمركب، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن كل ما يترتب على هذا اللفظ فأوهم خلاف المقصود فهو داخل عنده فى نطاق التوهيم؛ فالتوهيم عنده لا يقتصرعلى إيهام كلمة مفردة فحسب، وهذا ما يجعل مصطلح التوهيم رحبا بحيث يتسع ليشمل كثيرا من الصور، وهذا ما يدفعنا إلى إدراج العديد من الصور التى تحت مصطلح التوهيم ٠

---

(١) الهتم : انكسار الثنايا من أصولها خاصة، التلاع : جمع تلعة، وهى ما ارتفع من الأرض.

(٢) البديع فى البديع : ص ١٣٤ ٠

(٣) النور : ٢٥ ٠

(٤) فض الختام عن التورية والاستخدام : ص ١٥٣ ٠

(٥) الصنيع البديع فى شرح الحلية ذات البديع : لابن زاكور الفاسى : ص ٢٢٣ . تح / بشرى البداوى . مطبعة النجاح الجديدة . الدار البيضاء . ط١ . ٢٠٠١هـ/٢٠٠٢ م٠

(٦) شرح عقود الجمان : للسيوطى : ص ١١٦ . مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر . ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ٠

** ** **

ثانيا : التوهيم بين المتكلم والمتلقى :

قبل استعراض صور " التوهيم " يجدر بنا أن نقف هنيهة لنطرح سؤالا ألا وهو: التوهيم الذى وقع فيه المتلقى أكان بقصد من المتكلم أم بدون قصد منه؟ لقد صرح الدكتور/ حفنى محمد شرف: أن التوهيم واقع من جانب المتلقى وحده دون قصد من المتكلم، وذلك فى إطار المتفرقة التى ساقها بين مصطلحى **(التوهيم)** و**(التورية)**، حيث رأى أن الفرق بينهما يكمن فى ثلاثة أوجه: **"الأول:** فى التورية تَوهُّم وجهين صحيحين: قريبا وبعيدا، والمراد البعيد منهما، بينما فى التوهيم يوهم صحيحا وفاسدا، والمراد الصحيح منهما.

الثانى: التورية لا تكون إلا باللفظة المشتركة، بينما التوهيم يكون بها وبغيرها.

الثالث: إيهام المتورية مما يتعمده الناظم، أما التوهيم فمما يتوهمه القارئ والسامع" (١).

وفى هذه التفرقة نظر من وجهين: **الأول:** أن المعنى البعيد والقريب فى التورية هما بمنزلة الصحيح والفاسد فى التوهيم؛ لأن المعنى البعيد هو المعنى الصحيح الذى يقصده المتكلم، والمعنى القريب هو المعنى الفاسد الذى ذهب إليه وهم المتلقى، وهو ما لا يقصده المتكلم، فمثلا قول الشاعر:

أقول وقد شَنُّوا إلى الحرب غارةً: دعُونى فإنى آكلُ الخُبزَ بالجُبنِ

تجد التورية متمثلة فى كلمة " **الجبن** "، فمعناها القريب: الطعام المعروف، وهذا المعنى فاسد غير مراد، لكن المعنى البعيد . وهو الخوف . هو المعنى الصحيح الذى يقصده المتكلم.

وكذا التوهيم الحاصل بالهجاء فى معرض المدح: كقول النجاشي يهجو بنى العجلان:

قُبَيِّلةٌ لا يغدرون بِذِمَّة ولا يَظْلمون الناسَ حبّةَ خَرْدل

(١) ينظر الهامش فى : تحرير التحبير: لابن أبى الإصبع : ص٣٤٩ . تح. د/ حنفى محمد شرف . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة إحياء التراث الإسلامى) .

فالمتلقى يتوهم من ظاهر قول الشاعر: " **لا يغدرون، ولا يظلمون** " أن هذا مدح لبنى العجلان؟ وهذا المعنى القريب معنى فاسد؛ إذ هو خلاف مقصود الشاعر، حيث قصد إلى خفى بعيد، وهو ذمهم وهجاؤهم؛ لكونهم لا يستطيعون الغدر والظلم؛ لضعفهم وعجزهم؛ ولهذا صغَّرهم فى قوله: "**قُبَيِّلَة**"، وإنما يمدح الإنسان بكونه لا يغدر ولا يظلم إذا كان قادرا على الغدر والظلم، ثم تَرَكهما وعدل إلى ضدهما ٠

الثانى: أنه قَصَر إيهام التورية على تعمد الناظم له، بينما حصر التوهيم فى دائرة ما يتوهمه المتلقى فقط، ولكن الحقيقة أن هناك صورا من التوهيم يعمد إليها الناظم عمدا كما سيتضح لناعما قليل ٠

إذاً نستطيع القول بأن مصطلح " التوهيم " يشمل كل صورة وقع فيها المتلقى فى دائرة الوهم سواء بقصد من المتكلم أو بدون قصد، وعليه فالتوهيم أعم والتورية أخص؛ إذ التورية معدودة من صورة؛ ومما يعضد ما ذهبنا إليه أمران:

الأول: أن بيت الشريف الرضى السابق وهو ما استشهد به ابن منقذ للتوهيم الواقع فى قوله : " **ثنيات** " . يُعَد من قبيل التورية٠

الثانى: أن الصفدى فى إطار استعراضه لاختلاف البلغاء فى اسم **(التورية)**، اعترض على إطلاق مصطلح **(الإيهام)** على التورية؛ معللا لهذا بأن الإيهام . وللذى يناسب ما سماه أرباب البديع **(توهيما)** كما صرح بهذا . أعم، بينما التورية أخص منه، فتراه يبين العلاقة بين المصطلحين بقوله: "على أن الإيهام أقرب إلى التورية من غيره؛ لأن الإيهام: يطلق على ما يحصل به أى نوع كان من الغلط؛ لأنه مأخوذ من الوهم، والوهم يُضطرب حديثه ويتشعب، ولا يقصد جهة واحدة، فأنت إذا أوهمت غيرك شيئا إنما قصدت مغالطته فيه، وأما التورية

فأنت إذا وريت كلامك كأنك نقلته من قدام المخاطب إلى ورائك أو ورائه، وهذا أخص من الإيهام؛ فلهذه الدقة قلت: إن التورية أنسب " (١).

** ** **

ثالثا : **من طرق التـوهيم البلاغى** :

هذا النوع من التوهيم له طرق متعددة ومتنوعة، فالمتلقى لا يفطن إلى مغزى المتكلم من الوهلة الأولى، والنظرة العجلى، بل يفهم منه معنى آخرغير مقصود؛ وهذا مرده إلى ما يكتنف كلامه من غموض شفيف، فلم يعطه المتلقى حقه من التأمل، وإما لأن المتكلم صاغ كلامه صياغة تجعل كلامه يحتمل معنيين على حد سواء، فلا يهتدى المتلقى إلى مراده على سبيل اليقين؛ وهذا عن قصد وعمد من المتكلم، وذلك للخروج من عتاب أو لوم ..إلخ، وإما لأن ظاهر كلامه يدل على معنى من مدح أو ذم، بينما ينطوى باطنه على ضده، وهو مراد المتكلم، وإما لأنه يخدعه فى بادئ الأمر ثم سرعان ما يصل إلى المراد عن طريق المفاجأة غير المرتقبة من جانب المتكلم، فيحصل له نوع من الكشف والإضاءة إلى معناه، إلى غير هذه الصور التى سنعرض لبعضها الآن، ومن الطرق التى يتحقق بها هذا الضرب من التوهيم ما يلى :

١. التعريف بلام الجنس :

تعريف الجنس المحلى (بأل) يفيد معنى القصر، فإذا كان المعرف هو المسند إليه أفاد قصر جنس المسند إليه على المسند، وإذا كان المعرف هو المسند أفاد قصر جنس المسند على المسند إليه، وهذا القصر قد يكون حقيقيا تحقيقيا إذا لم يوجد الجنس فى غير المقصور عليه، وقد يكون ادعائيا إذا وجد معنى الجنس فى غيره، فيفيد حينئذ المبالغة لكمال معناه فى المقصور عليه .

وعلى هذا يتجلى التوهيم فى صورة القصرالادعائى، والذى أشار إليه الإمام عبد القاهر بقوله : " واعلم أنك تجد الألف واللام فى الخبر على معنى الجنس، ثم ترى له فى ذلك وجوهاً: أحدهما: أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه

(١) فض الختام عن التورية والاستخدام : ص ١٥٥ .

لقصدك المبالغة، وذلك قولك: زيد هو الجواد، وعمرو هو الشجاع، تريد: أنه الكامل، إلا أنك تخرج الكلام فى صورة توهم أن الجود والشجاعة لم توجد إلا فيه؛ وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره؛ لقصوره عن أن يبلغ الكمال" (١).

وأما تعريف المسند إليه بأل الجنسية فيتجلى فيما رواه عبد الله بن عمرو . رضى الله عنهما . عن النبى ﷺ: **((الْمُسْلِمِ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانه وَيَده، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ))** (٢) .

فالتعريف الوارد فى كل من " المسلم " و" المهاجر " للجنس، وقد يتوهم البعض منه أن مَنْ لم يَسلَم المسلمون من شر لسانه وشر يده، فقد انتفى عنه أصل الإسلام، لكن هذا التعبير وارد منه ﷺ على سبيل تعظيم ترك أذى المسلمين، والكف عن أعراضهم. فالإسلام الحقيقى: هو الاستسلام لله ﷻ، وتكميل عبوديته، والقيام بحقوقه، وحقوق المسلمين، ولا يتم للمسلم الإسلام حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه، ولا يتحقق ذلك إلا بسلامتهم من شره القولي والفعلى، وهذا مما يعد عنوانا على كمال إسلامه؛ لهذا حصر الرسول ﷺ المسلم الكامل الإسلام حقا فيمن لم يؤذ مسلما بقول أو فعل، وهذا لا يعنى أن أصل الإسلام ينتفى عمن لم يتصف بهذه الصفة؛ لأن المنفى عنه حينئذ هو كمال الإسلام، إلا أنه ﷺ قد أخرجه فى صورة توهم ذلك؛ لقصوره عن بلوغه منزلة من جمع إلى أداء حقوق الله ﷻ أداء حقوق المسلمين.

وكذا قد يتوهم السامع من تعريف " المهاجر " أن معنى الهجرة ينتفى عمن هاجر من بلاد الكفرة، فلا يسمى هذا مهاجرا، فالمهاجر حقيقة هو من هجر نفسه وأكرهها على الطاعة، وحملها تجنب المنهى؛ لأن النفس أشد عداوة من

---

(١) دلائل الإعجاز : للجرجانى : ص ١٤٤. تح.د/ محمد التنجى . دار الكتاب العربى . بيروت . ط١ . ١٩٩٥م.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده):١/١٣، ح ١٠ .

الكافر؛ لقربها وملازمتها وحرصها على منع الخير، ولكن هذا لا يعنى انتفاء معنى الهجرة عمن فارق بلاد الكفرة، إلا أنه ﷺ قد أخرجه فى صورة توهم ذلك؛ لقصوره عن بلوغه منزلة من جمع إلى هجران وطنه هجران ما حرم الله عليه .(١)

وأما تعريف المسند بأل الجنسية فكقول مزرد بن ضرار:

فقد عَلِمَتْ فِتْيانُ ذُبْيَانَ أَنَّنِى أَنا الفارسُ الحامِى الذِّمارَ المُقاتِلُ

فالشاعر أراد أن يبين لنا أنه قد بلغ فى الفروسية الغاية، ووصل فى الذود عن الحمى وممارسة فنون القتال أقصى النهاية، فأخرج الكلام فى صورة توهم أن هذه الصفات صارت حكرا عليه، لاتوجد إلا فيه؛ حيث لا يُقام اعتبار لهذه الصفات فى غيره إذا ما قورن به؛ نظرا لقصورها عن رتبة الكمال المتحقق فيه؛ ولهذا نُزلت فى غيره منزلة العدم .

٢. التنكير :

قد يعدل المتكلم عن التعريف إلى التنكير؛ وذلك ليوقع المخاطب فى دائرة الوهم؛ ليرتب المتكلم على هذا الوهم فائدة ما، ومما تحقق فيه ذلك قوله . تعالى .:﴿ **وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ**﴾(٢)، فقد عدل القرآن فى قوله: ﴿**بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ**﴾ عن أن يقال: " ايتونى بأخيكم من أبيكم "؛ لأن المراد حكاية ما اشتمل عليه كلام يوسف عليه السلام ؛ فأراد أن يوهمهم أنه لم يُرد أخاً معهوداً عنده، وإظهاره عدم معرفته بأخيهم إلا من ذِكرهم إياه عنده، فعدل عن الإضافة المقتضية المعرفة إلى التنكير؛ تناهيا فى التظاهر بجهله به(٣).

---

(١) ينظر: الكاشف عن حقائق السنن: للطيبى: ٢/ ٤٤١ . تح٠د/ عبد الحميد هنداوى . مكتبة نزارمصطفى الباز . الرياض . ط١. ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٢) يوسف : ٥٩ .

(١) التحرير والتنوير : للطاهر بن عاشور: ٢/ ٣٥٦، ١٣ /١٣ . دار سحنون للنشر والتوزيع . تونس . ١٩٩٧ م٠

هناك من الألفاظ ما لا يوجد لها ثان من جنسها كالقمر والهلال الشمس، وقد ترد مثل هذه الألفاظ بصيغة التنكير، فيحصل التوهيم بأن المقصود بها فرد ما من أفرادها، فإذا كانت بلفظ المفرد دلت على واحد، وإن كانت بلفظ المثنى دلت على مثنى ما من المثانى، وإن كانت جمعا دلت على جماعة ما من الجماعات، كما هو الشأن فى غيرها من الألفاظ التى تعم شيئين أو أكثر، ويقوى ذلك التوهيم إذا ذاعت تلك الألفاظ وتدوولت على الألسنة بلفظ المثنى أو الجمع، وقد أشار الإمام عبد القاهر إلى هذه الصورة بقوله: " قولهم: خرجنا فى شمس حارّة، يريدون: فى يوم كان للشمس فيه حرارة وفضل توقُّد٠٠٠وكثيراً ما يتفِق فى كلام الناس ما يُوهم ضرباً من التنكير في الشمس، كقولهم: " شَمْسٌ صيفية "، وكقوله:

*** واللَّه لا طَلَعت شمسٌ ولا غَربْت ***

٠٠٠ويجىء التنكير في القمر والهلال على هذا الحدّ، فمنه٠٠٠قول عمر بن أبى ربيعة:

وَغَاب قُمَيْرٌ كنتُ أرجُو غُيُوبَهُ وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ (١)

ظاهره يوهم أنه كقولك: جاءنى رجل، وليس كذلك فى الحقيقة؛ لأن الاسم لا يكون نكرة حتى يعمَّ شيئين وأكثر، وليس هنا شيئان يَعُمّهما اسم القمر٠ وهكذا قول أبى العتاهية:

تُسرُّ إذا نَظرتَ إلى هِلالٍ ونَقْصُكَ إذْ نَظرتَ إلى الهِلالِ

ليس المنكَّر غير المعرَّف، على أنّ للهلال في هذا التنكير فضلَ تمكُّن ليس للقمر، ألا تراه قد جُمع في قوله . تعالد: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ﴾**(٢)، ولم يجمع القمر على هذا الحد، ومن لطيف هذا التنكير قول البحترى:

وبَدْرَين أَنْضيْنَاهما بعد ثَالثٍ أكلْناه بالإيجاف حتى تَمَحَّقَّا "(١)٠

---

(٢) رعيان: جمع راع، سُمَّر: جمع سامر، وهم الجماعة من الحىّ يَسْمُرُونَ ليلاً، أى: يتحدثون ليلا٠

(١) البقرة : ١٨٩ ٠

٣. الموصول لفظا المفصول معنى :

وهو أن تجيء الكلمة إلى جنب أخرى كأنها فى الظاهر معها وهى فى الحقيقة غير متعلقة بها (٢) .

ومما يدخل فى هذه الصورة: التقديم والتأخير، الاعتراض، حسن التخلص، الاستطراد ..إلخ، وإليك البيان :

(أ) التقديم والتأخير: قد يقع فى بعض العبارات أن تتأخر فيها الجملة أو جزء منها عن مكانها الأصلى، وهى بهذا التأخير تفيد معنى آخر، ولكن السامع قد لا يفطن لهذا المعنى، نظرا لصحة السبك والتركيب، والخلو من أود (عوج) النظم والتأليف، فيحمل حينئذ الكلام على ترتيبه الظاهرى، ولا يفطن إلى هذا التأخير الذى بنيت عليه العبارة، مما يوقعه فى دائرة التوهم؛ إذ يرتب عليه معنى آخر غير ما أراده المتكلم .

ومما ورد على هذا النحو قوله . تعالى . : **﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا﴾**(٣).

فقوله . تعالى . : **﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا﴾** يوهم أن المعنى: لولا فضل الله ﷻ ورحمته علينا بإرشادنا إلى سبيل الرشاد لاتبع جُلنا الشيطان وبقى هذا الجل على الكفر، وهذا معنى غير مراد؛ لأن "قوله ﷻ: **﴿إِلا قَلِيلا﴾** لا يكون استثناء مما قبله؛ لأن الحقيقة أنه لولا فضل الله ورحمته لاتبعنا الشيطان جميعا، وليس إلا قليلا؛ وإنما هذا الاستثناء متصل

---

(٢) أسرار البلاغة : لعبد القاهر الجرجانى: ص ٢٨٨ :٢٩٠. تح / ريتر . ط٣ . ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. الإيجاف: الإسراع.

(٣) البرهان فى علوم القرآن : للزركشى: ٢٩٤/٣ ـ تح / محمد أبو الفضل إبراهيم . منشورات المكتبة العصرية . بيروت . ط٢ .

(١) النساء :٨٣ .

بقوله: " **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** إلا قليلا "؛ لأن أهل الاستنباط لا يعلمون كل شيء، وإنما يعلمون ما يعلمون، ثم تبقى بقايا لمن يأتى بعدهم، وهذا هو وجه الكلام، وإنما أخر هذا الاستثناء لتبقى كلمة **﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾** تخامر النفس بعمومها؛ حثا على الاستنباط، والاجتهاد، والتدبر، وقد أجمع أهل العلم على أن إعمال العقل والتفكر والتدبر والاستدلال والنظر من أعظم القربات"[1].

ومن التقديم والتأخير الذى قد لا يفطن إليه السامع قوله . تعالى .:**﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾**[2].

فتجد جملة **﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾** التى وردت فى الآية السادسة موقعها هناك فى الآية الخامسة، إذ أصل الكلام: " **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ** * كأنما يساقون إلى الموت، وهم ينظرون، **يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ** "، وإنما قدَّم **﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾** لمزيد العناية بتبشيع المجادلة فى الحق بعد بيانه؛ لأن الكتاب العزيز بُنى كله على ضرورة الإقرار بالحق بعد ما تبين، ولم يتوعد الحق ﷻ خلقه على ذنب كذنب إنكار الحق بعد بيانه؛ لأن الكفر الذى هو رأس الكبائر ما هو إلا إنكار للحق بعد ما تبين، ولذلك جاء تأكيد إحقاق الحق مرتين بعد هذه الآية فى قوله: **﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾**[3].

---

(٢) مراجعات فى أصول الدرس البلاغى: د/ محمد أبو موسى : ص٢٩٦ . مكتبة وهبة . ط١ .١٤٢٦هـ /٢٠٠٥ م .

(٣) الأنفال : ٥، ٦ .

(١) الأنفال : ٧، ٨ .ينظر: مراجعات فى أصول الدرس البلاغى: ص٢٩٥ (بتصرف).

(ب) الاعتراض فى إطار التقديم والتأخير: أولا: نقف على حقيقة الاعتراض عند جمهور البلاغيين " وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى . بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب بنكتة"[1].

ثانيا: المصورة التى معنا وتوقع المتلقى فى التوهيم، تكمن فى أن بعض العبارات قد تقع فيها الجملة معترضة بين جزئى الآية، بينما مكانها الأصلى قبل هذه الآية التى وردت معترضة فيها، وإنما تأخرت واعترضت لمغزى ما يريد المتكلم توصيله للمخاطب، وبالنظر فى هذه الصورة تجد التوهيم حاصل فيها من جهتين وليس من جهة واحدة، الأولى: من جهة الاعتراض، والأخرى: من جهة التأخير، لهذا كان من الصعوبة بمكان أن يسلم من الوقوع فى هذا النوع من التوهيم إلا علماء علم المناسبة الذين يمتازون بالتدقيق الشديد فى معانى الجمل .

كقوله . تعالى .: **﴿ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾**[2].

قالوا: أصل الكلام أن يكون قوله:**﴿ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾** موصولا بقوله **﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ .** كأن لم تكن بينكم وبينه مودة **.: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾**، وذلك لأن جملة **﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾** . وهى من حديث الشماتة . أشبه بالآية الأولى، وإنما تأخرت إلى الآية الثانية، واعترضت بين القول ومقوله، وهو**﴿ لَيَقُولَنَّ ... يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾**؛ للإشارة إلى أنه حين تمنى أن يكون فى معيتهم كان كاذبا؛ لأن المعية فى لقاء العدو تعنى المظاهرة والنصرة، وهو لا يريد ذلك، وإنما يريد القسمة فى الفضل

(٢) الإيضاح : للخطيب القزوينى : ص١٩٤ . دار إحياء العلوم . بيروت . ط٤ . ١٩٩٨ م .

(٣) النساء : ٧٢، ٧٣ .

الذى كان من الله للمجاهدين فى سبيله، وهذا المعنى هو الذى استفيد من التأخير[1].

(جـ) حسن التخلص: يقول السيوطى عن هذا اللون: " مما يتأنق فيه المتخلص مما ابتدئ به المكلام من نسيب أو غيره كالأدب وللفخر . إلى المقصود، على وجه سهل يختلسه اختلاسا، رقيقا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثانى؛ لشدة الالتئام بينهما "[2].

فكلام السيوطى يبين لنا أن حسن التخلص يعنى الخروج من المقدمة إلى الغرض المقصود أو من معنى إلى آخر، وإنما يكون ذلك بلطائف خفية تلائم بين المعنيين، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، ودون أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر، حتى كأن هذه المعانى أفرغت فى قالب واحد، وهذا ما يجعل المتلقى يتوهم أنه ليس ثمة انتقال، وأن الكلام يتناول غرضا أو معنى واحدا، وهذا لا يتواءم ومراد المتكلم.

ومن الموصول والمفصول الوارد بطريق حسن التخلص قوله . تعالى .: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾** إلى قوله: **﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾**[3]، فإن الآيتين وردتا فى قصة آدم وحواء . عليهما السلام . لكن آخر الآية الثانية مشكل؛ حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء، وآدم نبى متكلم، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعا، وقد جر ذلك بعضهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء، وأنها فى رجل وزوجته كانا من أهل المُلك، وتعدى إلى تعليل الحديث والحكم بنكارته، لكن تبين أن آخر قصة آدم وحواء ينتهى عند قوله: **﴿فِيمَا**

---

(١) ينظر: مراجعات فى أصول الدرس البلاغى: ص٢٩٤، ٢٩٥ (بتصرف) .
(٢) شرح عقود الجمان : للسيوطى : ص ٧٣، والمثل السائر: لابن الأثير: ٢/٢٤٤. تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . بيروت . ١٩٩٥م .
(١) الأعراف : ١٨٩، ١٩٠ .

آتَاهُمَا﴾ ، وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب وإشراكهم الأصنام، ويوضح ذلك تغيير الضمير من التثنية إلى الجمع فى آخر الآية الثانية وما بعدها فى قوله: **﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ *أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا..﴾** (١) إلى آخر الآيات، ولو كانت القصة واحدة لقال: " **عما يشركان..**" (٢).

هذا والمقصود بالشرك فى قوله: **﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾** الشرك فى الاسم والطاعة لا فى العبادة؛ لأنهما سميا مولودهما (عبد الحارث) بوحى من الشيطان. وأمره. وكان. إبليس . لعنه الله . يسمى (الحارث) (٣).

ومن حسن التخلص الموهم قوله . تعالى .: **﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** (٤)، فظاهر الآية يدل على أن قصر الصلاة مشروط بالخوف، وأنه لا قصر مع الأمن، وقد قال به لظاهر الآية جماعة(٥) منهم السيدة عائشة رضى الله عنها، لكن سبب النزول بيَّن أن هذا من الموصول والمفصول، فقد أخرج ابن جرير من حديث علىّ قال: سأل قوم من بنى النجار رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا نضرب فى الأرض فكيف نصلى؟ فأنزل الله **﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾** ثم انقطع الوحى، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبى ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد

---

(٢) الأعراف : ١٩٠، ١٩١ .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن: للسيوطى: ١/٢٤٠، ٢٤١ (بتصرف) ـ تح/ سعيد المندوه – طبع ونشر/ دار الفكر . بيروت – ط١ – ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م .

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : للطبرى: ١٣ / ٣١١ وما بعدها . تح/ أحمد محمد شاكر الناشر/ مؤسسة الرسالة . ط١. ١٤٢٠ هـ /٢٠٠٠ م.

(١) النساء : ١٠١ .

(٢) ومنهم الإمام الزركشى : فقد ذهب إلى أن القصر جائز مع أمن السفر، لكن ذلك خرج مخرج الغالب لا الشرط، فغالب أسفار رسول الله ﷺ وأصحابه لم تخل من خوف العدو .ينظر: البرهان: ٣/٣٩ .

وأصحابه من ظهورهم، هلا شددتم عليهم ؟ فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في أثرها، فأنزل الله بين الصلاتين **﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** إلى قوله: **﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾** [1] فنزلت صلاة الخوف، فتبين بهذا الحديث أن قوله: **﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾** شرط فيما بعده، وهو صلاة الخوف لا صلاة القصر[2].

(د) الاستطراد : هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لمناسبة ثم الرجوع إلى المعنى الأول[3] .

فهذا التعريف يكشف لنا عن صورة التوهيم الحاصلة بطريق الاستطراد، فإنه لما كانت هناك رابطة دقيقة، ومناسبة خفية بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه، وهذه الرابطة وتلك المناسبة لا تطل برأسها لكل أحد، فضلا عن الرجوع مرة أخرى إلى المعنى الأول، فهذا ما يجعل المتلقى لا يشعر بالانتقال الفجائى بينن المعنيين، لأنه لا يشعر معهما بانقطاع يوحش؛ لذا لا يفطن لهذا الانتقال الخفى إلا ذوو الألباب ممن ارتفعوا عن طبقة العوام، وبعد روية وتأمل، وطول تمحيص وتنقيب، وهذا هو موطن الدقة واللطف، ومما يؤكد هذا التفرقةُ الواردة بين حسن التخلص والاستطراد؛ فإنك " فى التخلص تترك ما كنت فيه بالكلية وتقبل على ما تخلصت إليه، وفى الاستطراد تمر بذكر الأمر الذى استطردت إليه مرورا كالبرق الخاطف، ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده، وإنما عرض عروضا"[4] .

ومن شواهد الاستطراد ما ورد فى قوله . تعالى .: **﴿فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**

---

(٣) النساء : ١٠١، ١٠٢ .

(٤) الإتقان : ١ / ٢٤١ .

(٥) علم البديع (القسم الثانى) :د/ بسيونى عبد الفتاح فيود : ص١٣٢ ـ مطبعة السعادة . ط١.٤٠٨١هـ/ ١٩٨٧م.

(١) من وجوه تحسين الأساليب فى ضوء بديع القرآن : د/ محمد إبراهيم شادى: ص ١٨٠ . مطبعة السعادة .٤٠٨١هـ/ ١٩٨٧م.

وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَا بَنِى آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون* يَا بَنِي آَدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا ﴾ (١).

فقد ورد قوله . تعالى .: **﴿يَا بَنِى آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا ..﴾**

على سبيل الاستطراد؛ ليمتن الله . تبارك وتعالى . على عباده بما جعل لهم من اللباس لستر العورات، والريش للتجمل به ظاهرًا، وكما هو جلى أن هذه الآية الكريمة تتصل بجزئية فى قصة خروج آدم من الجنة؛ لأن إبليس . لعنه الله . لما سعى فى المكر والخديعة والوسوسة ليسلب آدم وحواء ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن حتى بدت عوراتهما، فاستُطرد بالآية الكريمة ليدل على وجوب ستر العورة وقُبْحِ كشفها، لاسيما أن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالعرى فى الطَّواف بالبَيْتِ الحرام، لكنه عاد مرة أخرى فى قوله . تعالى .: **﴿يَا بَنِي آَدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾**إلى قصة آدم وافتتانه بالشيطان، فنهى المخاطبين عن متابعة الشيطان، والإصغاء إليه، والافتتان به .

وقد أبان الزمخشرى عن الاستطراد فى الآية وفائدته بقوله: " وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها؛ إظهاراً

(٢) الأعراف : ٢٢. ٢٦ .

للمنة فيما خلق من الملباس.، ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى"[1].

وقال تعالى:**﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[2].

فقوله: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** جملة اعتراضية مستطردة بين جملة **﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ..﴾** وبين جملة **﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾**، وذلك بمناسبة ذكر مطاعن أهل الكتاب فى القبلة الإسلامية، فإن طعنهم كان عن مكابرة مع علمهم بأن القبلة الإسلامية حق، فاستُطرد بأن طعنهم فى القبلة الإسلامية ما هو إلاّ من مجموع طَعنهم في الإسلام وفى النبى ﷺ، وذلك بجامع المعرفة الجلية مع الطعن، والدليل على الاستطراد قوله بعده: **﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾**، فقد عاد الكلام إلى استقبال القبلة[3].

(هـ) الاستئناف النحوى: وهو كل جملة منقطعة عما قبلها، وقد أشار ابن هشام إلى أن هناك من مواضع الاستئناف النحوى ما يكاد يخفى ويدق، مما يتبادر منه إلى الذهن قبل التأمل معنى غير مراد، وذلك إذا لم يجعل الجملة المثانية منقطعة عما قبلها، بل جعلها والردة . مثلا . على سبيل الاستئناف

---

(١) الكشاف : للزمخشرى :٢ /١٥٠ . تح/ يوسف الحمادى . الناشر/ مكتبة مصر .وينظر: من وجوه تحسين الأساليب فى ضوء بديع القرآن: د/ محمد إبراهيم شادى: ص ١٨٠(بتصرف) .

(٢) البقرة : ١٤٥:١٤٨ .

(١) ينظر : التحرير والتنوير :لابن عاشور: ٣٩/٢، روح المعانى : للألوسى:١٢/٢، ١٣ . دار إحياء التراث العربى . بيروت إدارة الطباعة المنيرية ط.٤ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م.

البيانى، فتراه يقول: " من الاستئناف ما قد يخفى، وله أمثلة كثيرة: أحدها: ﴿لا يَسَّمَّعُونَ﴾ من قوله . تعالى .: ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى﴾[1]، فإن الذى يتبادر إلى الذهن أنه صفة لكل شيطان، أو حال منه، وكلاهما باطل؛ إذ لا معنى للحفظ من شيطان لا يسمّع، وإنما هى للاستئناف النحوى، ولا يكون استئنافاً بيانياً؛ لفساد المعنى أيضا "[2].

وضرب ابن هشام مثالا ثانيا للاستئناف الموهم، وهو مجيء قوله . تعالى .: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[3] بعد قوله: ﴿فلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ فإنه ربما يتبادر إلى الذهن أنه محكى بالقول عن المشركين، وليس كذلك؛ لأن ذلك ليس مقولا لهم[4]، بل هو تعليل صريح من قِبَل المولى ﷻ للنهى عن حزنه ﷺ لقولهم، فإنه عالم بما يسرون لك من عداوتهم وما يعلنون بألسنتهم من ذلك؛ وهو مثيبك ومجازيهم عليه .

لكن الطاهر بن عاشور يرى أن الاستئناف فى الآية السابقة غير موهم بالكلية، حيث قال: " الوقف عند قوله: ﴿فلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ مع الابتداء بقوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ أحسن من الوصل؛ لأنه أوضح للمعنى، وليس بمتعيّن؛ إذ لا يخطر ببال سامع أنهم يقولون: إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، ولو قالوه لما كان مما يحزن النبى ﷺ، فكيف يُنهى عن الحزن منه؟!"[5].

وقد عد ابن الجوزى هذه الصورة من الموصول لفظا المفصول معنى، فقال: " قد تأتى العرب بكلمة إلى جانب أخرى كأنها معها وهى غير متصلة بها، وفى القرآن :﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾، هذا قول الملأ، فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[6]، ومثله ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1] انتهى

---

(٢) الصافات : ٧، ٨ .
(٣) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : لابن هشام الأنصارى : ٤٤٢/٢ـ تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية . بيروت . ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
(٤) يس : ٧٦ .
(٥) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٤٤٢/٢وما بعدها (بتصرف) .
(١) التحرير والتنوير : لابن عاشور : ٧٣/٢٣ .
(٢) الأعراف: ١١٠، الشعراء: ٣٥ .

كلامها، فقال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [٢]، ومثله ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[٣] هذا منتهى قولها، فقال . تعالى .: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ " [٤].

أما البلاغيون فقد عدوا هذا الضرب من الاستئناف من الصور التى يجب فيها (**الفصل**) بين الجملتين، وترك العطف بينهما بالواو ؛ دفعا للتوهم ودرءا للبس، وذلك إذا كانت الجملة الأولى لها حكم إعرابى، ولم يقصد تشريك الثانية للأولى فى الحكم الإعرابى؛ لأمر عرض فيها، صارت به أجنبية عما قبلها، فعندئذ يجب الفصل [٥].

بينما عدها العلامة السكاكى من صور (**القطع**)على وجه الوجوب[٦]، لكن الإمام السبكى يرى أنه من الأَوْلى تسمية هذه الصورة (**استئنافا**)، وهذا ما دفعنا إلى إطلاق هذا الاسم دون غيره على هذه الصورة خاصة، فتراه يقول: " ولك أن تقول: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ جملة مستأنفة، ولا يصح عطفها على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ ﴾، وإنما يكون الفصل فى شىء يمكن أن يعطف على غيره، فيفصل عنه، وتكون الجملتان من كلام متكلم واحد، وهاتان ليستا كذلك " [٧].

٤. التشبيه المقلوب والتشبيه الضمنى :

---

(٣) يوسف : ٥١ .

(٤) يوسف : ٥٢ .

(٥) النمل : ٣٤ .

(٦) الإتقان : ٢٤٢/١ .

(٧) ينظر: دلائل الإعجاز : ص١٨٠، والإيضاح : ص١٤٧ .

(١) مفتاح العلوم : للسكاكى : ص ٢٥٢ ـ تح/ نعيم زرزور . دار الكتب العلمية . بيروت . ط ٢ . ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٢) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : للسبكى : ٣/ ٢٣ . دار السرور . بيروت .

التشبيه المقلوب: هو جعل المشبه الناقص فى وجه الشبه (مشبها به)، والمشبه به الكامل فيه (مشبها)؛ ليتوهم السامع أن المشبه أعرف وأتم وأشهر فى وجه الشبه من المشبه به، وذلك على سبيل الادعاء والمبالغة ٠

وقد ذكر الإمام عبد القاهر هذه الصورة من التوهيم فقال: " وقد يقصد الشاعر على عادة التخييل، أن يُوهِم في الشيء هو قاصر عن نظيره فى الصفة أنه زائد عليه فى استحقاقها،

واستيجابِ أن يُجعَل أصلا فيها، فيصح على موجب دعواه وسرفه (مبالغته) أن يجعل الفرع أصلا، وإن كنا إذا رجعنا إلى التحقيق، لم نجد الأمر يستقيم على ظاهر ما يضع اللفظ عليه، ومثاله قول محمد بن وُهيب:

وبَدَا الصَّباحُ كأنّ غُرَّتَهُ وَجْهُ الخليفةِ حِين يُمتدَحُ

فهذا على أنه جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأشهر وأتم وأكمل فى النور والضياء من الصباح، فاستقام له بحكم هذه النية أن يجعل الصباح فرعا، ووجهَ الخليفة أصلا "[1]٠

ومن التشبيه المقلوب ما رواه عامر بن مسعود ﷺ أنه ﷺ قال: ((**الغنيمة الباردة الصوم فى الشتاء**)) [2]، فالرسول ﷺ يشبه الغنيمة التى تجيء للإنسان عفوا، من غير أن يصطلى دونها بنار الحرب، ويباشر حر القتال في البلاء، بالأجر الذى يحوزه الصائم فى الشتاء، من غير أن يمسه حر العطش أو يصيبه ألم الجوع من طول اليوم٠

والتركيب من قلب التشبيه؛ لأن الأصل: الصوم في الشتاء كالغنيمة الباردة، لكن التشبيه قد وصل إلى الدرجة القصوى في المبالغة [3]؛ إذ فيه إيهام أن حصول النفع بلا جهد ومشقة متحقق بصورة جلية فى جانب الصيام منه فى

(٣) أسرار البلاغة : للجرجانى : ص ٢٠٥ ٠

(١) أخرجه الترمذى فى سننه: باب (باب ما جاء فى الصوم فى الشتاء) : ٣/ ١٦٢، ح٧٩٧ ٠

(٢) الكاشف عن حقائق السنن : للطيبى : ١٦١٥/٥ ٠

جانب الغنيمة الباردة؛ لأن إنجاز وعد الله ﷻ للمسلم لا يتفلت، وثوابه العميم لا ينقص منه شيء، حتى وإن كان المسلم لم يبلغ عناء ومشقة فى تحصيل تلك الطاعة ٠

أما التشبيه الضمنى: فهو التشبيه الذى لا يذكر فيه أركانه صراحة كما هو الشأن فى التشبيه الصريح، ولكنه يرد مطويا فى ثنايا الكلام، محتجبا وراء الجمل، فيحتاج للوصول إليه إلى خرق حجابه بالنظر، وفتق أكمامه بالتفكير ٠ ويتحقق التوهيم بالتشبيه الضمنى إذا أُثبت للمشبه به صفة لا يتأتى وصفه بها، فيبرز المشبِّه الجماد الصامتُ فى صورة الحى الناطق؛ دون أن يُظهر الأديب أن كلامه وارد على سبيل التشبيه، أو خطر له على بال، مما يحوجك تصرفه هذا إلى أن تفتش وتنقب عن التشبيه، ولن تصل إليه إلا بعد إعمال فكر و شحذ ذهن؛ لأنه ورد متواريا وراء تصرف خيالى طريف ٠

وذلك كأن يوهمك . مثلا . أن المشمس كائن حى يشعر ويعقل، ويستحيى ويتوقح؛ مبالغة فى حسن وضياء وإشراق وجه الممدوح، كقول المتنبى يمدح أبا على الأوراجى الكاتب :

لَمْ تَلْقَ هذا الوَجْهَ شَمسُ نهَارِنَا إلاّ بوَجْهٍ لَيسَ فيه حَيَاءٌ

ويوهمك . أيضا أن السحاب يعرف ويعقل ويخجل؛ مبالغة فى كرم الممدوح، كما فى قول أبى نواس مادحا العباس بن الفضل بن الربيع :

إنَّ السحَابَ لَتَسْتَحيى إذا نَظَرتْ إلى نَدَاكَ فقَاسَتْه بمَا فِيها

يعقب الإمام عبد القاهر على هذا اللون مبينا كيفية التوهيم فى البيتين بقوله: " هذا كله فى أصله ومغزاه وحقيقة معناه تشبيه، ولكن كَنَى لك عنه، وخُودِعتَ فيه، وأُتِيتَ به من طريق الخلابة في مسلك السحر ومذهب التخييل٠٠٠وإذا حققت النظر، فالخصوص الذى تراه، والحالة التى تراها، تنفى الاشتراك وتأباه، إنما هما من أجل أنهم جعلوا التشبيه مدلولا عليه بأمر آخر ليس هو من قبيل الظاهر المعروف، بل هو فى حدِّ لحن القول والتعمية اللذين يُتعمد فيهما إلى إخفاء المقصود حتى يصير المعلوم اضطرارا، يُعرف امتحانا واختيارا، كقوله:

مررتُ بباب هِنْدَ فَكَلَّ مَتْنِى فَلا واللَّهِ مَا نَطَقَتْ بحَرْفِ

فكما يوهمك بإتقان اللفظ أنه أراد الكلام، وأن الميم موصولة باللام، كذلك المشبِّه إذا قال : سرقن الظباءَ العيونَ، فقد أوهم أن ثَمَّ سرقة، وأن العيون منقولة إليها من الظباء، وإن كنت تعلم إذا نظرت أنه يريد أن يقول: إن عيونها كعيون الظباء في الحسن وللهيئة وفَتْرةِ النظر، وكذلك يوهمك بقوله: إن السحاب لتسْتَحيى، أن السحاب حيٌّ يعرف ويعقل، وأنه يقيس فيضه بفيض كفّ الممدوح فَيَخْزَى ويخجَل " [1].

٥. المجاز :

بيَّن أرسطو دور المجاز في خلق التعبيرات المرشيقة ذات الدلالات المتعددة التى تحدث تمويهاً مثيراً للدهشة والتساؤل والاستغراب لدى المتلقى، فقال: " ومعظم التعبيرات الرشيقة تنشأ عن التغيير **(المجاز)**، وعن نوع من التمويه يدركه السامع فيما بعد، ويزداد إدراكاً كلما ازداد علماً، وكلما كان الموضوع مغايراً لما كان يتوقعه، وكأن النفس تقول: هذا حق! ولأنا التى أخطأت، واللطيف الرشيق من الأمثال ما يوحى بمعنى أكثر مما يتضمنه اللفظ "[2].

(أ) **المجاز اللغوى**: هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فى اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته ،والعلاقة المصححة إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو (استعارة)، وإلا فهو (مجازمرسل) [3].

ومن صور التوهيم الحاصلة بطريق المجاز اللغوى أن المتكلم قد يعبر عن مراده بألفاظ مجازية، لكن المخاطب عندما يطرق سمعه تلك الألفاظ فقد

---

(١) أسرار البلاغة : ص ٣١٦، ٣١٧ .

(١) الخطابة: لأرسطوطاليس: ص٢٢٠ـ ترجمة د/عبد الرحمن بدوى . طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد . ١٩٨٦م.

(٢) الإيضاح :ص٢٥٠، ٢٥٤ .

يحملها على معناها الحقيقى، فيقع بعيدا عن مراد المتكلم، ولكنه قد يفطن للمراد فيما بعد ٠

ومثال المجاز المرسل ما روته السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقد قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا، قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا، قالت: فكانت أطولنا يدا زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق**)) (١)٠

فاليد فى قوله ﷺ : (**أطولكن يدا**) مستعملة فى معنى النعمة والعطاء والتصدق، وهذا مجاز مرسل من إطلاق اسم السبب وهو اليد التى هى سبب فى إصدار النعمة والعطاء والصدقة إلى الشخص المقصود على مسببه، "ولفظ (أطول) فى الحديث ترشيح للمجاز المرسل، فى (اليد)، وهو مستعمل فى غير معناه الحقيقى؛ لأن أطول مستعمل هنا فى بسط اليد بالعطاء، فيكون استعارة، والجامع بين طول اليد وبسط اليد، الزيادة والكثرة فى كل منهما"(٢)٠

وهذا التعبير المجازى قد يوهم أن المراد بطول اليد: الطول الحسى، أى: طول اليد الحقيقية، وهى الجارحة، وهذا فعلا ما قد حدث، فإن أمهات المؤمنين قد ظنن هذا المعنى، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، حتى ينظرن أيتهن أطول يدا، فكانت سودة أطولهن جارحة، ثم كانت زينب أسرعهن لحوقا به ﷺ، وكانت كثيرة الصدقة وفعل الخير، فعلمن حينئذ أنه لم يرد الجارحة، وإنما أراد الصدقة ٠

---

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضى الله عنها) : ١٩٠٧/٤، ح ٢٤٥٢ ٠

(٤) نظرات فى البيان : د/ محمد عبد الرحمن الكردى : ص٢٢١ . مطبعة السعادة ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م٠.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (ما يكره من الحرص على الإمارة): ٢٦١٣/٦، ح٦٧٢٩٠

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامةً يوم القيامة**)) [1].

قال ابن علان: " (وستكون ندامة يوم القيامة) أى لمن لم يكن من أهلها ولم يقم بحقها، إذ المطلق محمول على المقيد، وكونه حذف ذلك هنا؛ تنفيراً عنها وتبعيداً منها، لما تقدم فيما قبله " [2].

يقصد ابن علان أن هذا التنفير لا يشمل كل إنسان يتولى الإمارة، بدليل أنها قد وردت مقيدة فى خطاب الرسول ﷺ لأبى ذر ﷺ: " **يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها** " [3]، إذا فهذا الإطلاق يستشف منه أن الإمارة ينبغى ألا تكون مطمحا عاما ومطمعا لكل إنسان، إذ الإمارة أمر خطر، والقيام بحقوقها عسر، فلا ينبغى أن يرنو إليها مَنْ لا تتوفر فيه الأهلية، ولا يتطلع إليها مَنْ لمس من نفسه التقصير بواجباتها، أو لم يستطع القيام بها على الوجه الأكمل؛ لأن فى تولية مثل هذا هضما كبيرا لحقوق العناصر المتميزة ذات الكفاءة، والتى هى الأحق بتلك المناصب، مما ينعكس سلبا علي المجتمع بأفدح الخسائر؛ لعدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، والذى من خلاله سيخدم المجتمع ويرتقي به؛ لأنه سيعطى أفضل ما لديه من خبرات؛ لإحساسه بالمسؤولية، وعدم إجحاف الحق .

وأما الاستعارة فتظهر فيها هذه الصورة من التوهيم فى **(ترشيح الاستعارة)** القائم على إثبات التعجب أو نفيه، ففيه درجة التناسى والادعاء تبلغان مداهما الأقصى، حيث إن الشعراء يستعيرون الشىء للشىء، ثم يبالغون فى تناسى التشبيه الذى بنيت الاستعارة عليه، ويضيفون إليه تناسيا آخر هو

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: لابن علان الصديقى: ١٤٤/٣ . دار القلم للتراث . ط٣ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (كراهة الإمارة بغير ضرورة): ١٤٥٧/٣، ح١٨٢٥.

تناسى المجاز نفسه، وإيهام النفس أن الحديث يجرى على الحقيقة، ويصوغون الكلام صياغات تؤكد هذا التناسى للمجاز، ويبنون على ذلك أمورا لطيفة يزداد الأسلوب بها دقة وجمالا، لذا فهناك فرق بين أن تقول: غنت لنا ظبية، فتتناسى التشيبيه وتستعير، وبين أن تقول: عجبت كيف تغنى الظباء، فقد انتقل كلامك إلى مستوى آخر؛ لأنك فى الثانى ممعن فى تناسى المجاز٠ وكذا قول المتنبى :

كَبَّرتُ حولَ ديارِهم لمَّا بَدَتْ منها الشموسُ وليسَ فيها المَشْرِقُ

فإنه لما شبه القوم بالشموس، وتناسى التشبيه، وادعى أنهم شموس، لم يقف عند هذا الحد، وإنما تناسى أنه يتكلم عن شموس مجازية، وقد بالغ فى هذا الإبهام، حتى أقنع نفسه به، ووقف ذلك الموقف الذى يقفه الموحد حين يرى آية من آيات الله ﷻ (١)٠

قال الإمام عبد القاهر مشيرا إلى هذه الدقيقة: " وهذا نوع آخر من التخييل، وهو يرجع
إلى ما مضى من تناسى التَّشبيه وصرف النفس عن توهُّمه، إلا أنَّ ما مضى مُعلَّل، وهذا غير معلّل، **بيان ذلك** : أنهم يستعيرون الصِّفة المحسوسة من صفات الأشخاص للأوصاف المعقولة، ثم تراهم كأنهم قد وجدوا تلك الصفة بعينها، وأدركوها بأعينهم على حقيقتها، وكأن حديث الاستعارة والقياس لم يجرِ منهم على بال ولم يرَوْه ولا طيفَ خَيال٠ ومثالُه ٠٠٠ الحكم إذا استعاروا اسمَ الشيء بعينه من نحو شمس أو بدر أو بحر أو أسد، فإنهم يبلغون به هذا الحد، ويصوغون الكلام صياغاتٍ تقضى بأن لا تشبيه هناك ولا استعارة، مثاله : استعارتُهم العلوّ لزيادة الرجل على غيره فى الفضل والقدر والسلطان، ثم وَضْعُهم الكلام وضعَ من يذكر علُواً من طريق المكان، ألا ترى إلى قول أبى تمام:

---

(١) التصوير البيانى : د/ محمد أبو موسى :ص٣١٧، ٣١٨(بتصرف) . مكتبة وهبة . ط٤ ـ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ٠

ويَصْعَدُ حَتَّى يظُنَّ الجَهولُ بأنّ لَهُ حاجةً فى السماءِ

فلولا قصده أن يُنْسِيَ الشبيه ويرفعَه بجهده، ويُصمِّم على إنكاره وجَحْده، فيجعله صاعداً فى السماء من حيث المسافة المكانية، لمَا كان لهذا الكلام وجه" [1].

(ب) المجاز العقلى: هو" إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل" [2]. ففيه نوع آخر من التوهيم، فالمجاز بالإسناد يضفى على الجملة ظلا خادعا من التلوين، حتى يحسبه من لا خبرة له ببناء الأساليب تجوزا فيها وليس فى الإسناد، ألست ترى فى أوضح أمثلة هذا المجاز وهو قولك: أنبت الربيع البقل، نوعا من الخيال يوهمك أن الربيع مشبه بالحى القادر على ذلك. ولنظر إلى قولك: أهاجته ذكريات عذاب. ألست ترى ظلا من الخيال يوهمك أن الذكريات هنا مشبهة بحى يقع منه الفعل ؟ نعم هذا كائن، ولذلك ذهب السكاكى إلى النظر فى المثبت له لا فى الإثبات، وأدخل المجاز العقلى فى قسم الاستعارة بالكناية؛ تقليلا للأقسام[3].

والمتأمل للأساليب يلمح فرقا بين المجازين فى أكثر الصور، وإن كان يدق أحيانا، فعلينا أن نفسر كل صورة بما يناسبها، وبما هو الأظهر فيها من طرق المبيان. فلا نلوى أعناق الاستعارة لنوجهها على طريق المجاز. فى الإسناد، فلو قلت فى قول الشاعر :

ولمَّا نَعَى النَّاعِى بُرَيداً تَغَوَّلَتْ بى الأرضُ فَرْط الحُزْنِ وانقَطعَ الظَّهْرُ[4]

: إن قوله: " تغولت بى الأرض " مجاز عقلى، أسند فيه التغول إلى الأرض، والأرض مكان التغول تكون بهذا التحليل قد أفسدت هذا التصوير الخلاب، أليس من البر بهذه الصورة أن نقول: إنها تصوير وتمثيل لحاله واستلاب نفسه

---

(٢) أسرار البلاغة : ص٢٧٨، ٢٧٩ .

(٣) الإيضاح : ص ٢٨ .

(١) ينظر: خصائص التراكيب: د/ محمد أبو موسى: ص ٩٢،٩٣ (بتصرف) . مكتبة وهبة . ط٣، ومفتاح العلوم: للسكاكى : ص٤٠١،٤٠٠ .

(٢) تغولت بى الأرض : دارت وتلونت فى عينى .

حين فوجئ بنعى أخيه، بتلك الحال المفروضة، أى: حال من تغولته الأرض، لاسيما وهم يزعمون أن فى الأرض غولا يغتال الأقوام [1].

٦. عكس الظاهر :

أبان ابن الأثير عن حقيقة هذا اللون بقوله:" وهو نفى الشىء بإثباته.. وذلك أنك تذكر كلاما يدل ظاهره على أنه نفى لصفة موصوف وهو نفى للموصوف أصلا "[2].

فابن الأثير يرى أن هذا اللون يتحقق بأن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشىء، فإذا تحققت فيه وجدت باطنه نفيا، ففيه إرادة خلاف ظاهر الكلام، والتوهيم فى هذا الباب قائم . غالبا . على طريقة الخبر المنفى، والذى يتحقق بتوجه النفى فى الظاهر إلى الفرع، أو اللازم، أو الصفة..إلخ وحقيقته تقع على الأصل والفرع، واللازم والملزوم، والصفة والموصوف معا، وهذه الصورة هى أصل الباب ورأسه، ويكاد يكون مصطلح (عكس الظاهر) مقصورا عليها عند الكثرة الكاثرة من البلاغيين .

ومنه قول ابن الأحمر :

لا تفْزعُ الأرانِبَ أهْوالُـهَا ولا تَرى الضبَّ بِها ينْجَحِر

فالشاعر أراد أن يصف فلاة موحشة بأنها ليس بها أرنب فتفزع لهولها، ولا ضب فينجحر، أى: يدخل الجحر، لكن ظاهر العبارة يخدع المتلقى ويجعله يتوهم أن هناك أرانب لكنه نفى عنها صفة الفزع من أهوال تلك الفلاة، وهناك ضباب ولكنه نفى عنها صفة الانجحار، "والنفى فى الشطر الثانى لم يتم فيه بطريق مباشر ظاهر، ولكن بطريق برهانى، فالشاعر يتحدث عن سلوك حيوان يخضع لمنطق الغريزة والضرورة، فليس هناك ضب يتخذ لنفسه جحرا يختبئ فيه وضب آخر لا يفعل ذلك، فكل ضب يحفر لنفسه جحرا لا محالة فى أماكن خاصة وبطريقة معروفة، فإذا كان أمر الضب معروفا على هذه الصورة فى

---

(٣) خصائص التراكيب: ص ٩٣ (بتصرف) .

(١) المثل السائر: ٢ /٦١ .

اتخاذ الجحر، فهذا دليل وقرينة على أنه لو كان هناك ضب فى الصحراء الموحشة التى يصفها ابن أحمر لانجحر، فنفى الانحجار على هذا نفى للضب نفسه، فهى صحراء لا حياة فيها ولا أحياء؛ لأنها تفقد أسباب الحياة، فقد بان لك أن النفى منصب فى الظاهر على اللازم، فانتفى فى الفهم، ثم نظرنا فوجدنا أن بيَّن اللازم المنفى، والملزوم ترابطا، يلزم منه أن يصل النفى إلى الملزوم، كما وصل إلى اللازم" [1] .

وقد يرد هذا الأسلوب . أيضا . فى الخبر المثبت الذى يُحمَل على معنى النفى، ومما يندرج تحت هذه الصورة: استعمال لفظ **(قليل)** . الذى يراد به إثبات شىء قليل من كثير باعتبار الأصل . فى معنى نفى الشىء من أصله، وذلك كقول تأبط شرا:

قليلُ التَّشكِّى للمُهِمَّ يُصِيبهُ كثيرُ الهَوىَ شَتَّى النَّوى والمسَالكِ

قال التبريزى: " إنه لا يشكو ما ينزل به من الخطوب المهمة إلى أحد؛ لصبره عليه وعلمه أن شكايته غير نافعة له، ولكنه يعمل فى إزالتها ودفع مضرتها، وهو مثل قول دريد ابن الصمة :

قليلُ التَّشكِى للمصِيبَاتِ حَافظٌ من اليومِ أعْقَاب الأحَاديثِ فى غَدِ

... واستعمل لفظ القليل والقصد إلى نفى الكل، وهذا كما يقال: فلان قليل الاكتراث بوعيد فلان، والمعنى: لا يكترث، وعلى ذلك قولهم: قَلّ رجل يقول ذاك، وأقَلّ رجل يقول ذاك، والمعنى معنى النفى، وليس يراد به إثبات قليل من كثير . **فإن قيل:** من أين ساغ أن يستعمل لفظ القليل من الشىء وهو للإثبات فى النفى؟ **قلت:** إن القليل من الشىء فى الأكثر يكون فى حكم ما لا يعتد به ولا يعرج عليه؛ لدخوله بخفة قدره فى ملكة الفناء، فلما كان كذلك استعمل لفظه

(١) عكس الظاهر فى ضوء أسلوب القرآن الكريم ولغة العرب: د/عبده زايد : ص ١٣٦ (بتصرف) . دار الصحوة – ط١ – ١٤١٢هـ –١٩٩٢م.

فى النفى على ما فى ظاهره من الإثبات" [1].

ومن طرق هذا الباب أسلوب النهى، كما ورد فى قول حجر بن خالد :

وإذا هَلَكْتُ فلا تُريدى عاجزاً غُسًّا ولا بَرَماً ولا مِعْزَالا [2]

فالذى يفهم من ظاهر البيت أن الشاعر يوصى زوجته بألا تتزوج بعد موته رجلا ضعيفا، لا يدخل مع القوم فى الميسر، ولا ينزل معهم فى السفر، فالنهى فى الظاهر منصب على هذه الصفات الثلاث، ولا يمتد إلى ما عداه، فلتتزوج إذًا رجلا لا ينطبق عليه هذه الصفات، لكن هذا ليس مقصود الشاعر؛ لأن النهى هنا ليس واقعا على الصفة وحدها كما هو الظاهر، وإنما هو واقع على الصفة والموصوف معا، ولهذا يوضح التبريزى لنا مراد الشاعر فيقول: " ليس قصده فى هذه الوصاة إلى أن يبعثها إلى تخير الرجال، وإنما المراد: اطلبى مثلى، وهو يعلم أنها لا تظفر بمن يماثله أو يقاربه " [3].

٧. الإدماج :

يبين لنا ابن أبى الإصبع كيفية التوهيم الحاصل بطريق الإدماج، وذلك من خلال تعريفه الذى ساقه له بقوله: " وهو أن يدمج المتكلم غرضاً له فى ضمن معنى قد نحّاه من جملة المعانى؛ ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عَرَض فى كلامه لتتمة معناه الذى قصد إليه"[4].

(١) شرح ديوان الحماسة : للتبريزى : ١/ ٤٧– عالم الكتب – بيروت . وينظر: البيان والتبيين : للجاحظ : ١/ ١٥٧ – دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) والغس: الضعيف، والبرم: الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر، والمعزال: الذى لا ينزل مع القوم فى السفر.

(٣) شرح ديوان الحماسة : للتبريزى :١/١٨٤ .

(٢) تحرير التحبير : ص٤٤٩، وينظر: خزانة الأدب: لابن حجة الحموى : ٢/٤٨٤. تح/ عصام شعيتو . دار ومكتبة الهلال . بيروت . ط١ . ١٩٨٧م.

ولكى يتحقق التوهيم بأن المعنى المُضمَّن المدموج ورد فى كلام المتكلم عرضا ولم يقصد إليه قصدا، يجب أن لا يكون هذا المعنى مصرحا به، ولا يكون فى الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله [1]. كقول ابن نباتة :

ولا بُدَّ لى من جَهْلَةٍ في وصَالِه فمَنْ لِى بخِلٍّ أُوْدِعُ الحِلمَ عِندَهُ ؟

فالغرض المسوق له الكلام هو الغزل، حيث أبان أن وصاله لا يتيسر له إلا بترك الوقار، وارتكاب أفعال الجهال، حتى يحوز رضا المحبوب، ويفوز بقربه، ثم أدمج أولا فى هذا الكلام الوارد فى شأن المحبوب الفخر بكونه حليما؛ حيث كنى عن هذا الفخر بالاستفهام عن وجود الخل الصالح كى يودع حلمه لديه، وذلك حال. وصال. المحبوب. للوقوف. على الجهل. ثم يستعيده بعد ذلك؛. إذ الودائع تستعاد، فهو لم يعزم على مفارقة الحلم ألبتة، ثم أدمج ثانيا في ضمن الفخر الذى أدمجه فى الغزل شكوى الزمان؛ لقلة الأخوان، بحيث إنه لم يبق منهم من يصلح للوداعة؛ لأنه استفهم استفهاما إنكاريا عمن يصلح لها .

ولا يفطن لهذا التوهيم إلا اللّبيب اليقظ المدقّق فيما تشعه الألفاظ الواردة فى التراكيب من ومضات، ومنه كتاب ورد من عمرو بن مسعدة للمأمون، هذا نصه: " كتبت كتابي إلى أمير المؤمنين . أَعزَّه اللّه . ومَن قِبَلى من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند، تأخّرت أرزاقهم، واختلت أحوالهم، والسلام " [2].

فاستحسن المأمون كلامه، وأخذ يردد نظره فى كتابه، لعجبه من بلاغته واحتياله لمراده، وأَمر لهم برزق ثمانية أشهر، ومرد هذا الاستحسان إلى احتيال عمرو لمراده؛ إذ أدمج فى إطار الإخبارعن طاعتهم للخليفة وانقيادهم له . أدمج

---

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص : ٣٩٩/٤ . دار السرور . بيروت .

(١) العمدة : لابن رشيق :٤١/٢ . تح / محمد محيى الدين عبد الحميد . الناشر / دار الجيل . بيروت . ط٥ . ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

مسألته وطلبه رواتب الجند، واستنجازه أرزاقهم؛ نظرا لما قد يترتب على تأخيرها من اختلال أحوالهم، واضطراب أمورهم ٠

٨. التورية :

التورية وتسمى أيضا(**الإيهام**): " وهى أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويراد به البعيد منهما " (١)٠

ففى هذا اللون خفاء المراد عن المتلقى وإيهامه خلافه؛ إذ المتكلم يوهمه أول الأمر أنه يريد المعنى القريب؛ إذ هو المتبادر إلى الذهن عند إطلاق اللفظ، وبعد إعمال فكر وإنعام نظر يتجلى للمتلقى أنه ليس هو مراد المتكلم، وإنما مراده المعنى البعيد٠

ويزداد هذا التوهم فى التورية المرشحة؛ لأنها اقترنت بما يرشح خفاءها، حيث ذكر معها لازم المعنى القريب (المورى به)، سواء أكان مذكورا قبله أم بعده، وهذا كقول أبى العلاء :

فارتحل النَّضْرُ لرَبْعٍ سوى رَبْعِى فرارا من أبيه شُمَيْلْ

فقد ورد فى البيت السابق توريتان مرشحتان: الأولى: فى قوله: " النضر " بمعنى: الشباب، لكنه ذكر بعدها ما يلائم المعنى الموري به، وهو قوله: " من أبيه شميل " فأوهم السامع إرادة المعنى القريب، وهو: " النضر بن شميل" ذلك العالم اللغوى المعروف ٠

والتورية الأخرى : فى قوله: " شميل " : المراد به الشيب الشامل، لكنه ذكر قبلها قوله: " النضر " و " من أبيه "، وهذا يلائم المعنى الموري به، فأوهم إرادة المعنى القريب، وهو " شميل " أبو هذا العالم ٠

(٢) الإيضاح :ص٣٣١ ٠

بينما يقل هذا التوهم فى التورية المجردة؛ لتجردها عما يرشح خفاءها؛ إذ لم تقترن بشىء يلائم المعنى القريب **(المورى به)** ٠

ومن ذلك ما روى أنه لما ارتحل رسول الله ﷺ من ذا فران حتى نزل قريبا من بدر، فركب هو وأبو بكر ﷺ حتى وقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهما، فلما فرغ الشيخ من خبره عنهم قال: **ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء،** فأخذ الشيخ يفكر ويقول: من ماء من ماء؛ لينظر أى بطون العرب يقال له : ماء، فالتورية هنا واقعة فى لفظ " ماء "، حيث أراد الرسول ﷺ أنه مخلوق من ماء، مصداقا لقوله تعالى .: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ**﴾[١]، فورى عنه، قاصدا من وراء هذا إخفاء خبره، وكتمان أمره، مع لزوم الصدق، ورضى الخصم بما وافق مراده[٢]٠

٩. التوجيه:

يُعَد أبا العباس الجرجانى(ت ٤٨٢هـ) فى طليعة العلماء الذين أشاروا إلى التوجيه، فقد ميز بين ثلاث صور فى إطار عرضه لها فى باب أسماه **(إيراد ألفاظ باطنها بخلاف ظاهرها)**، قال فى بدايته: **"** وقد يدل اللفظ على المدح بظاهره وعلى الذم بباطنه، والضد من ذلك، فيدل على القبيح فى الظاهر وهو غير قبيح عند البيان، وقد يكون الكلام موجها محتملا للذم والمدح عند البيان **"**[٣]، وسنعرض لهذه الصور الثلاث كلا على حدة٠

التوجيه: هو إيراد كلام محتمل لوجهين مختلفين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو ذم أو غيره[٤]٠

ومرد هذا التوهيم الحاصل بالتوجيه إلى أن كلام الأديب يحتمل معنيين متضادين متساويين فى الاحتمال، ولفظه صالح لحمله على أحد المعنيين على

---

(١) الطارق : ٥، ٦ ٠

(٢) فض الختام عن التورية والاستخدام : ص١٩٥،١٩٤ ٠

(٣) المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء : لأبى العباس الجرجانى : ص ٨٨ ـ دار الكتب العلمية . بيروت . ط١ . ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م٠

(٤) شرح عقود الجمان : ص ١٢٧ ٠

السواء، فلا يستطيع المتلقى أن يميز أحد المعنيين دون الآخر؛ لأنه لا يكاد أحدهما يترجح على الآخر لديه، والأديب قصد إلى هذا الإبهام قصدا؛ بدليل أنه لم يأت فى كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد، فالمتكلم وحده هو الذى يوجهه إلى أحد معنييه. وقد سمى ابن أبى الإصبع هذا اللون **(الإبهام)**، واستحسن الحموى هذه التسمية، فقال: " فتسمية النوع هنا بالإبهام أليق من تسميته بالتوجيه، ومطابقة التسمية فيه لا تخفى على أهل الذوق الصحيح، وهذا مذهب ابن أبي الأصبع "[1].

ومن التوجيه ما روى عن أبى الفرج الجوزي ﷺ أنه كان فى مجلس يجمع بين أهل السنة والشيعة، فسأله سائل، أى الناس كان أفضل بعد رسول الله ﷺ أبو بكر أم علي رضى الله عنهما ؟ فتغافل؛ إذ هو فى موضع لا يمكنه التصريح فيه بمذهب أهل السنة، فقيل له: ما عندك ! قال: **(أفضلهما من كانت ابنته تحته)**، فرضى الفريقان بهذا الجواب؛ حيث فهم أهل السنة أنه أبو بكر، على اعتبار أن الضمير فى " ابنته " يعود إليه؛ لأن عائشة . رضى الله عنها . كانت تحت رسول الله ﷺ، بينما فهم الشيعة أنه عليٌّ، على اعتبار أن الضمير فى " ابنته " يعود إلى رسول الله ﷺ؛ لأن فاطمة . رضى الله عنها . كانت تحت علىﷺ [2].

ومما وقع فيه المتلقى فى التوهيم الحاصل بالتوجيه ما رواه " أبو جعفر محمد بن موسى الموسوى قال: دخلت على أبى نصر بن أبى زيد، وعنده علوى مبرم، فتأذى بطول جلوسه، وكثرة كلامه، فلما نهض، قال أبو نصر: **(هذا خفيف على القلب)**، فقلت: نعم، فقال: ما أظنك فهمت ما أردت، ففكرت، فعلمت أنه أراد: خفيفا مقلوبا، وهو الثقيل " [3] .

١٠. الهجاء فى معرض المدح وعكسه :

---

(٥) خزانة الأدب : ٣٠٣/١ .

(١) فض الختام عن التورية والاستخدام : ص١٩٥ .

(٢) المصدر السابق : ص١٥٦ .

الصورة الأولى: الهجاء فى معرض المدح: وتتحقق بأن الأديب " يقصد هجاء إنسان، فيأتى بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح، فيتوهم أنه يمدحه وهو يهجوه " [١]. وهذه الصورة أدخل فى التوهيم من التهكم؛ لأن " التهكم لاتخلو ألفاظه من لفظة دالة على نوع ذم، أو يفهم من فحواه الهجو، وألفاظ الهجو فى معرض المدح لا يقع فيها شىء من ذلك، ولا تزال تدل على ظاهر المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عنه "[٢].

كما أن هذه الصورة يمكن أن تلحق بفن**(التوجيه)**، ولكن باعتبار أنها صورة قائمة برأسها، مستقلة بنفسها؛ لضرورة التمييز بين الفروق الدقيقة بين كل صورة وأخرى؛ فهذه الصورة يتوهم للسامع بحسب ظاهر الكلام ويترجح لديه أن الأديب قد قصد المدح، وإن كان المراد عكس ما توهم، ومما ورد على هذا النهج وهو من الهجو فى معرض المدح قول أبى نواس:

وَجَدْنا الفَضْلَ أَكرَمَ من رَقَاشٍ لأَنَّ الفَضلَ مَـوْلاهُ الرَّسُولُ

فهذا كلام يوهم ظاهره أنه يمدح الفضل، لا سيما أنه استخدم أفعل التفضيل " أكرم "، كما وصفه بأنه مولاه الرسول، ولكن هذا المعنى ينقلب رأسا على عقب حينما تعرف أن أبا نواس يريد أنه لقيط، والنبى ﷺ يقول: **((أنا مولى من لا مولى له))** [٣]، واللقيط لا مولى له، فالرسول ﷺ مولاه، وهذا من أفحش الهجاء .

ومما يدل على وقوع السامعين فى هذا النوع من التوهيم: ما ورد عن سعيد بن جبير ﷺ: أن الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فىّ ؟ قال:**(أنت قاسط عادل)**. فقال القوم: أحسن والله . حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل . فقال الحجاج: يا جهلة، إنه سماني ظالماً مشركاً، ثم تلا لهم قوله . تعالى .: **﴿وَأَمَّا**

(٣) شرح عقود الجمان : ص ١٣٠ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٣٠ .
(١) أخرجه النسائى فى سننه الكبرى(ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر المقدام بن معد يكرب فى توريث الخال) : ٧٧/٤، ح٦٣٥٥ .

القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[1]، وقوله . تعالى .: **﴿ثُمَّ الذين كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾** [2].

الصورة الثانية : المدح فى معرض الهجو: كقول الفرزدق :

بأيْدِى رِجالٍ لمْ يَشِيُموا سُيُوفَهُمْ ولمْ تَكْثُرِ القَتْلَى بِها حِينَ سُلَّتِ

فظاهر البيت يدل على هجاء القوم، ووصفهم بالعجزعن التشفى بأعدائهم، وعدم القدرة على النكاية بهم؛ إذ لم يكثر القتلى حين سُلت سيوفهم من أغمادها، ولكن هذا ليس مراد الشاعر، وإنما مراده مدحهم بأنهم لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى بها حين سلت، قال التبريزى: " وهذا البيت ظاهره عند من لا يحسن العربية الميل إلى الهجاء، وهذا من أحسن المدح، ومعناه: أنه يصف قوما يقول: لم يغمدوا سيوفهم إلا بعد أن أكثروا القتلى مسلولة، وهذا كما يقول: لم أضربك ولم تشتمنى، أى إنما ضربتك إذ شتمتنى، فكأنه قال: لم يشيموا سيوفهم ولم يكثروا القتلى، أى: إنما شاموها بعد أن أكثروا القتلى بها " [3].

ومما يلحق بهذا اللون: الأدعية التى استعملها العرب على خلاف الظاهر بقرينة، وذلك بأن يكون ظاهرها ذم ودعاء على المذكور والمراد بها المدح، ومما ورد على هذا النحو قول أم الصريح الكندية :

هَوَتْ أُمُّهم مَاذَا بِهِمْ يَومَ صُرِّعُوا بجَيْشَانَ من أسْبابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا ؟

قال المتبريزى : " يقال هذا فى الاستعظام والتعجب، أى : ثكلتهم أمهم ...وتلخيص البيت: هوت أمهم أى شىء تصرم من أسباب المجد يوم

---

(٢) الجن :١٥ .

(٣) الأنعام : ١ .التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان : للطيبى: ص٣٠١ـ تح . د/ هادى عطية مطر . عالم الكتب . مكتبة النهضة العربية . بيروت . ط١ ـ ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

(١) شرح مقصورة ابن دريد : للتبريزى: ص ٢٨. المكتب الإسلامى للطباعة والنشر بدمشق . ط١ . ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

صرعوا بجيشان (وهو اسم علم لبقعة اتفقت الوقعة بهم فيها)، وقال أبو العلاء: " هوت. أمهم " من الأدعية التى استعملها العرب. على العكس. وذلك أن ظاهرها ذم ودعاء على المذكور والمراد بها المدح، ويدل غرضهم فى ذلك أنهم لا يجيئون بها فى مواطن الذم "[1].

١١. تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه :

تلعب أداة الاستثناء دورا رئيسا فى حدوث هذا النوع من التوهم، فهى وحدها توهم بشىء ضدها سبق، فإن كانت صفة مدح مثبتة أو صفة ذم منفية وجاءت بعدها أداة الاستثناء أوهمت المتلقى أن المستثنى الوارد بعدها سيكون ذما حتما، سواء أكان الاستثناء متصلا أم منقطعا، غير أن الأديب يعدل عما هو مألوف ومتوقع إلى ذكر صفة مدح أخرى؛ ليؤكد بها المدح الأول، وبهذه المباغتة يُكسب الأديب كلامه طرافة، ويثير حوله انتباها، ويتيح له فرصة ليتلاعب بتصورات المتلقى، فيقود وهمه ويوجه ذهنه إلى وجهات متناقضة لم تدر فى خلده، ولم تطرأ على خاطره، وكذا يقال فى نأكيد الذم بما يشبه المدح .

الصورة الأولى : تأكيد المدح بما يشبه الذم : حدها السبكى بقوله: "أن يبالغ فى المدح إلى أن يأتى بعبارة يتوهم السامع فى بادئ الأمر أنه ذم "[2].

ومنه قول النابغة الذبيانى :

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلولٌ مِن قِرَاعِ الكَتَائِبِ

فقد نفى الشاعر عن القوم أولا العيب على جهة الاستغراق، وهذا يعد مدحا، فلما نطق المتكلم " بغير" توهم السامع أن ما يأتى بعدها مخرج مما قبلها؛ لأن الأصل فى الاستثناء أن يكون متصلا، فيكون شىء من صفة الذم ثابتا لهم، وهذا ذم، لكنه فاجأ السامع بما لم يتوقعه، ونقض ما استقر فى وهمه؛ لأنه

(١) شرح ديوان الحماسة : ٢٠١/٢.
(١) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص :للسبكى : ٣٨٦/٤.

أثبت للقوم تثلم سيوفهم من مضاربة الجيوش، وهذا ليس بعيب بل يُعد مدحا؛ ومن ثَم يتأكد المدح؛ إذ لم يجد فيهم ما يُعد عيبا يذكره، فيكون مدحا على مدح ٠

وقوله . تعالى .: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾[1] أى: لست تعيب علينا وتنكر منا يا فرعون إلا الإيمان بآيات الله، إن كان هذا يعد عيبا، ولكن مثله لا يكون موضعاً للعيب ومكاناً للإنكار؛ لأنه أصل المناقب والمفاخر كلها، فهو حقيق بالثناء الحسن، والاستحسان البالغ٠

ويوجد فرق بين التوهيم الحاصل فى البيت والآية الكريمة، يكمن هذا الفرق فى أن إيهام العيب ونفيه فى البيت لا يختلف النظر فيه بين إنسان وإنسان، أما فى الآية فالقضية مختلفة؛ فإن ما ينقمه الكفار من المؤمنين وهو الإيمان يعد عيبا حقيقيا من وجهة نظر الكفار. فقط ،. لكنه عند المؤمنين موضع للفخر، وهذا فرق أساسى [2]٠

الصورة الثانية : تأكيد الذم بما يشبه المدح : ما قلناه فى تأكيد المدح بما يشبه الذم ينطبق تماما بتمام على هذا النوع، ومنه قول الشاعر:

فإنَّ مَن لامَنِى لا خَيرَ فِيه سوى وَصفِى له بأخَسِّ النَّاسِ كُلِهِم

فقد نفى الشاعر مطلق الخيرعن المهجو نفيا عاما، وهذا ذم، ثم استثنى " بسوى "، فأوهمك أن هناك شيئا من وجوه الخير متحقق فيه، وقد أراد الشاعر استثناءه مما سبق، فإذا به يفاجئك بما لم تكن تتوقعه؛ لأن الصفة المستثناه من قبيل الذم الصراح، حيث وصفه بأنه أخس الناس وأدناهم وأرذلهم على الإطلاق، وفى ذلك تثبيت لنفى جنس الخير عنه، وترسيخ له، وبهذا تحقق تأكيد الذم بما يشبه المدح ٠

---

(٢) الأعراف : ١٢٦ ٠

(١) دراسات فى علم البديع : د/ أحمد محمد على :.ص٢٦٥ – مطبعة الأمانة – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ٠

هذا والتوهيم الحاصل بالاستثناء ليس مقصورا على المدح والذم فحسب، بل يتعداهما إلى غيرهما من الأغراض؛ لذا اقترح العلامة التفتازانى أن يطلق على هذا اللون: **(تأكيد الشىء بما يشبه نقيضه)**؛ ليتسع لهذه الصورة وغيرها مما ليس فيه مدح وذم [1].

ومما ورد منه قول حطان بن المعلى :

وغَالنِى الدَّهْرُ بِوَفْرِ الغِنَى فَلَيسَ لى مَالٌ سِوَى عِرْضِى[2]

فالدهر قد كان سببا فى هلاك الشاعر؛ لارتجاع عواريه من المال ، فلم يعد له مال يمتلكه، فالشاعر قاد وهمك أولا إلى نفى امتلاكه للمال مطلقا، وقبل أن يستقر فى وعيك هذه الحقيقة جاءتك أداة الاستثناء " سوى "، وأنت لا تستثنى مما مضى إلا ما هو داخل فيه، وفى هذا إيهام بأن هناك شيئا من المال يمتلكه، فتظل فى حالة شوق لمعرفته، حتى إذا قال : " عرضى "، وليس العرض . أى النفس . من المال فى شىء، تجده قد تلاعب بتصوراتك وارتد بك إلى ما بدأك به وهو نفى المال، فيتأكد به انتفاء الغنى، ومن هنا تجىء الخلابة فى هذه الصورة ٠

١٢. الاشتراك :

وهو عبارة عن إتيان المتكلم فى كلامه بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو فرعيا، فيسبق ذهن سامعها إلى المعنى الذى لم يرده المتكلم، فيأتى فى آخر الكلام بما يؤكد أن المقصود غير ما توهمه السامع ٠ كقول كثير عزة :

وأنتِ التي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيرةً إليَّ، ولم تَشْعُرْ بذاكَ القَصائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيراتِ الحِجالِ، ولَمْ أُرِدْ قِصارَ الخُطا، شَرُّ النِّساءِ البَحاتِرُ[3]

---

(٢) المطول على التلخيص : للتفتازانى : ص ٤٣٩ . مطبعة أحمد كامل . ١٣٣٠هـ

(٢) غالنى: أهلكنى، الوفر: كثرة المال ٠

(١) الحجال : جمع حجلة، وهى خدر المرأة ، البحاتر : جمع بحتر، وهى القصيرة ٠

فلفظة " قصيرة " من الألفاظ المشتركة، تكون بمعنى مقصورة، أى: محيوسة، كما تكون بمعنى المِقصر الذى توصف به القامة. فلما أحس الشاعر بهذا الاشتراك فقد نفاه، وأعرب عن معناه الذي نحا إليه بقوله: " قصيرات الحجال "؛ لئلا يتوهم السامع أنه أراد قصار القدود ، وهذا من الاشتراك المعنوى ما ليس بحسن؛ لما فيه من التضمين، ولا معيب؛لأنه لما أتى بالبيت الثانى زال العيب .(١)

ويفرق ابن حجة الحموى بين الاشتراك والتوهيم مبينا أن بينهما علاقة عموم وخصوص، فقال: " وقد يلتبس الاشتراك بالتوهيم على من لا يحققه، والفرق بينهما أن الاشتراك لا يكون إلا باللفظة المشتركة، والتوهيم يكون بها وبغيرها من تحريف أو تصحيف أو تذييل"(٢).

١٣. التجريد :

التجريد: هو" أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فيها؛ مبالغة لكمالها فيه "(٣).

وينشأ التوهيم من التجريد باعتبار أن الأديب قد أخذ موصوفا بصفة من موصوف آخر بها، قاصدا إفادة المبالغة فى وصف المنتزع منه بتلك الصفة، حتى صيَّره فى منزلة أن مَن كانت فيه تلك الصفة صار متصفا بتفريع أمثاله عنه، ومن ثَم يتوجه الأديب بحديثه إلى المنتزع مخاطبا إياه تارة أو مخبرا عنه تارة أخرى، فيتوهم السامع أن المنتزع هو شخص آخر غير المنتزع منه .

ومن صور المتجريد: دخول " الباء " التجريدية على المنتزع . كقول الشاعر:

بنزْوةِ لصٍ بعدَ مَا مرَّ مُصعبٌ بأشْعَثَ لا يفلَى ولا هو يقملُ(٤)

---

(١) العمدة : ٩٦/٢، ٩٧، تحرير التحبير : ص٣٣٩، خزانة الأدب : ٢٧٦/٢، الصنيع البديع فى شرح الحلية ذات البديع : ص ١٧٨ .

(٢) خزانة الأدب : ٢ / ٢٧٦ .

(٣) الإيضاح : ص ٢٠٦ .

(٤) النزوة : الوثبة، اللص: زفربن الحارث، الشعث: انتشار الشعر وتغيره لقلة التعهد .

فمصعب نفسه هو الأشعث .قال الدكتور/ محمد على معقبا على هذا التجريد: " وهذا البيت قد يوهم أن مصعبا مار بأشعث، فيكون الجار والمجرور متعلقا بالفعل "مر"، ولولا أن العلماء نصوا على أن مصعبا هو الأشعث بعينه، وأن الباء هنا للدلالة على التجريد، وكأنه انتزع بالباء من نفسه أشعث حتى كأنه غيره . لكان التقدير الأول أسبق إلى الفهم " [1].

وعن أم عطية . رضى الله عنها. قالت: **((بُعِثَ إِلَى نُسَيْبَةَ الأَنْصَارِيَّةِ بِشَاةٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عَائِشَةَ مِنْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عِنْدَكُمْ شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ: لا، إلا مَا أَرْسَلَتْ بِهِ نُسَيْبَةُ مِنْ تِلْكَ الشَّاةِ، فَقَالَ: هَاتِ، فَقَدْ بَلَغَتْ مَحِلَّهَا))** [2].

فأم عطية هى نُسَيْبَةَ، قال العلامة ابن حجر: " وفيه نوع التجريد؛ لأن أم عطية أخبرت عن نفسها بما يوهم أن الذى تخبر عنه غيرها " [3].

١٤. سياق المعلوم مساق المجهول :

وهو ما يسميه البلاغيون **(مزج الشك باليقين)** و **(تجاهل العارف)**، وقد تجنب السكاكي هذه التسمية الأخيرة؛ لوقوعه في التنزيل وسماه بما عنونا له، وكشف العلوى عن حقيقة هذا اللون بقوله: " وهو أن تسأل عن شىء تعلمه موهما أنك لا. تعرفه وأنه مما خالجك فيه الشك وللريبة وشبهة عرضت بين المذكورين " [4].

---

(٥) دراسات فى علم البديع : د/ أحمد محمد على : ص ٢٣٩ .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (باب قدر كم يعطى من الزكاة والصدقة ومن أعطى شاة): ٢/٥٢٤، ١١٦، ح١٣٧٧ .

(٢) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى : لابن حجرالعسقلانى: ٥/٢٠٤ . تح / محمد فؤاد عبد الباقى وآخرين . دار المعرفة . بيروت . ١٣٧٩هـ.

(٣) الطراز : للعلوى : ص ٤٣٨ . تح/ محمد عبد السلام شاهين . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

ويتأتى التوهيم فى هذا اللون من حيث إن ظاهر اللفظ فيه مخالف لمعناه؛ إذ ظاهره يفيد الجهل أو الشك ومعناه العلم واليقين؛ وهذا التجاهل من جانب المتكلم الذى يتظاهر به إنما يكون لنكتة بلاغية تتمثل فى إفادة المبالغة فى معنى من المعانى.

ومن تجاهل العارف للمبالغة فى تعظيم الممدوح قول ابن هانئ المغربى:

أبنيِ العَوالِي السَّمهريةِ والموا ضِى المَشْرفيةِ والعَديدِ الأكبرِ

مَنْ منكُم الملكُ المُطاعُ كأنه تحت السّوابغِ تُبَّعٌ فى حِمْيَر؟

يقول ابن حجة الحموى مبينا ما أحدثه التوهيم الحاصل بسؤال الشاعر: **"قيل:** إنه لما تجاهل فى هذا البيت عن معرفة الممدوح تَرجَّل الجيش بكماله؛ تعظيما للممدوح؛ إذ هو ملكهم**"** (١).

ومن تجاهل العارف للمبالغة فى شدة الوجد والتدله فى الحب قول عمر بن أبى ربيعة :

بَينَمَا يَنْعتننى أبصَرْنَنِى مثلَ قِيدِ الرُّمحِ يَعدُو بى الأغَرّ

قالت الكبرى: تُرَى مَنْ ذَا الفَتَى؟ قَالَت الوسْطَى لَها : هَذا عُمرْ

قَالت الصُّغرَى وقَدْ تَيَّمْتُها : قَدْ عَرَفناهُ، وهَل يخفَى القَمَرْ؟

فالكبرى التى هى أعقلهن سألت عنه وقد علمته؛ لتلتذ بسماع اسمه، وذلك من باب تجاهل العارف الذى توجبه شدة الوله، والعقل يمنعها من التصريح، فأوهمت أختيها عدم معرفتها بالمسئول عنه؛ لذا سارعت الوسطى إلى التعريف باسمه للعِلم، فكانت دون الكبرى فى الثبات الذى توجبه سنُّها وتوسطها، والصغرى لكون منزلتها فى الثبات دون الأختين أظهرت من معرفته وصِفَتِه ما دلت به على شدة شغفها به (٢).

ومن تعبير المتكلم عما هو قاطع عليه وعالم به بلفظ ظاهره الشك ما روته السيدة عائشة . رضى الله عنها . أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**أُرِيتُكِ**

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب : ١/٢٧٦ .

(٢) تحرير التحبير : ص٥٩١ (بتصرف) .

فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِى بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ)) (١).

فقد عبر ﷺ بقوله: " إن يكن هذا من عند الله يمضه "، وهذه الرؤيا إن كانت بعد النبوة، وبعد علمه بأن رؤياه وحى، فقد أخبر ﷺ عما علمه بلفظ يوهم الشك ظاهره ومعناه اليقين(٢).

١٥. التوهيم بصرف اللفظ عن متعلقه :

ومما تحققت فيه هذه الصورة قوله . تعالد: **﴿وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (٣)، فإن قوله: **﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** يوهم أن الغفران والرحمة للمكرِه لهن، وهما فى الحقيقة للفتيات المكرَهات،وإنما ظاهر اللفظ قبله أوهم قبل التدبر أنه للأول، وليس كذلك(٤).

١٦. التوهيم بالأعداد :

يتجلى وقوع المتلقى فى التوهيم بالأعداد فيما رواه أنس ﷺ أن أبا بكر ﷺ كتب له كتابا لما وجهه إلى البحرين، ومما جاء فيه: **((وفى الرقة ربع العشر، فإن لم تكن . أى الفضة . إلا تسعين ومائة فليس فيها شىء إلا أن يشاء ربها))** .

فقد ذكر أبو بكر هذا العقد " التسعين " فى قوله: " إلا تسعين ومائة "؛ ليدل على أن لا صدقة فيما نقص عن المائتين، لكن هذا العدد " يوهم أنها إذا زادت على التسعين ومائة قبل بلوغ المائتين أن فيها صدقة، وليس كذلك، وإنما

---

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه باب(باب تزويج النبى ـ صلى الله عليه وسلم . عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها): ٣/١٤١٥، ح٣٦٨٢ .

(١) شرح النووى على صحيح مسلم: ١٥/٢٠٣ـ دار إحياء التراث العربى . بيروت . ط٢ . ١٣٩٢هـ.

(٢) النور: ٣٣ .

(٣) تحرير التحبير: ص٣٥١، والصنيع البديع : ص ٢٢٣، ٢٢٤ .

ذكر التسعين لأنه آخر عقد قبل المائة، والحساب إذا جاوز الآحاد كان تركيبه بالعقود كالعشرات والمئين والألوف "[1].

١٧. التوهيم بالإعراب :

من الأمثلة التى وقع للمعربين فيها وهمٌ للنظر إلى ظاهر اللفظ قوله . تعالى . : **﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾**[2]، "فإنه يتبادر إلى الذهن عطف **﴿أَنْ نَفْعَلَ﴾** على **﴿أَنْ نَتْرُكَ﴾**، وذلك باطل؛ لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنما هو عطف على " ما "، فهو معمول للترك، والمعنى: أن نترك أن نفعل، نعم من قرأ " تفعل " و " تشاء " . بالتاء لا بالنون . فالعطف على أن نترك، وموجب الوهم المذكور أن المُعرِب يرى " أنْ " والفعل مرتين، وبينهما حرف العطف "[3].

١٨. الجناس :

الجناس: هو أن يتفق اللفظتان فى النطق ويختلف معناهما[4]، والجناس من صور ا.لألفاظ المتى تحدث. للسامع نوعا من المفاجأة. وخدا.ع ا.لأفكار.، واختلاب الأذهان؛ لأن السامع يتوهم أن اللفظ مردد والمعنى مكرر، وأنه لن يجنى منه إلا السآمة والتطويل، فإذا ما ورد اللفظ الثانى بمعنى يغاير ما سبقه تأخذه الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة، فاللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوف إليه وتطلع، وعندئذ يقع منها أحسن موقع [5]، ولله در القائل :

---

(٤) سبل السلام : للصنعانى :١٢٤/٢. تح/ محمد عبد العزيز الخولى . دار إحياء التراث العربى . بيروت . ط٤ .١٣٧٩ .

(١) هود :٨٧ .

(٢) مغنى اللبيب : ٦٠٧/٢ .

(٣) الطراز : ص٣٧٢ .

(٤) علم البديع (القسم الثانى): د/ بسيونى عبد الفتاح فيود: ص ١٦٥ (بتصرف) . مطبعة السعادة . ط١ . ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

انْظُر إلى صورِ الأَلْفَاظِ واحِدةً وإنَّما بالمَعَانِى تُعشَقُ الصُّورُ

لذا يعتبر الإمام عبد القاهر هذا التوهيم الذى يقع فيه السامع فى بادئ الأمر من أسباب بلاغة الجناس، فقد قال: " أتراك استضعفتَ تجنيس أبي تمام في قوله :

ذَهَبَت بمُذْهَبَهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوت فِيهِ الظُّنُونُ: أَمَذْهَبٌ أم مُذْهَبُ ؟

واستحسنت تجنيس القائل * **حتَّى نَجَا من خَوفِه وما نَجَا** *، وقول المحدث:

نَاظِرَاه فيما جَنَى نَاظِرَاهُ أَوْدَعانى أَمُتْ بما أَوْدَعانى

لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثانى؟ ورأيتك لم يزدك " بمذهب ومذهب " على أن أسمعك حروفا مكررة، تروم فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها. فبهذه السريرة صار التجنيس . وخصوصا المستوفى منه المتفق فى الصورة . من حلى الشعر، ومذكورا فى أقسام البديع " [1].

أما الجناس الشبيه بالمشتق فيمتاز عن غيره من أنواع الجناس بصورة أخرى من الإيهام، فاللفظ الأول فيه يوافق اللفظ الآخر فى جل الحروف أو كلها، على وجه يتبادر منه فى بادئ النظر، ويتوهم منه قبل التأمل، أن ركنيه من حيث الظاهر يرجعان إلى أصل واحد؛ وذلك لشدة شبههما بالمشتق، ولكنهما فى الحقيقة ليسا كذلك؛ لأن أصلهما فى نفس الأمر مختلف. قال العلامة الدسوقى: " والحاصل أنه فى شبه الاشتقاق يتوهم بالنظر لبادئ الرأى أن اللفظين مشتقان من أصل واحد، وإن كان بعد التأويل يظهر خلاف ذلك، وأما فى الجناس فلا يظهر فى بادئ الرأى ذلك " [2].

---

(١) أسرار البلاغة : ص٦: ٨ .

(٢) ينظر: مواهب الفتاح وحاشية الدسوقى ضمنا شروح التلخيص : ٤/ ٤٣١،٤٣٢ـ دار السرور . بيروت، وخزانة الأدب : ١/٦٥،٠٦٤

وذلك نحو قوله . تعالى .: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (١)، فإن "**قَالَ**" و" **قَالِين**" مما يتوهم منه فى بادئ الرأى رجوعهما إلى أصل واحد فى الاشتقاق، وهو القول، مثل: قال والقائل، لكن بعد النظر والتأمل يظهر أن " **قَالَ** " من القول، و" **الْقَالِين** " من القِلَى وهو البغض ٠

** ** **

رابعا : التوهيم بوقوع صورة بديعة :

أشار ابن أبى الإصبع إلى هذا القسم بقوله: " ومن التوهيم: توهيم يوهم أنه طباق أو تورية، أو غير ذلك من المحاسن وليس عند التحقيق كذلك" (٢)٠

١. إيهام الجمع بين الإيجاز والإطناب :

نشير أولا. إلى حقيقة الجمع بين المتنافيين: وهى أن. يصدق. على ذات واحدة وصفان. يمتنع اجتماعهما على شىء. واحد فى زمان. واحد من جهة واحدة، وهذا أمر محال وقوعه، وباطل بداهة؛ لما فيه من اجتماع الضدين المؤدى إلى اجتماع النقيضين، والإيجاز والإطناب أمران متنافيان قطعا، وقد ورد فى بعض الصور ما يوهم ظاهره أن فيه جمعا بينهما، ولكن الحقيقة أن الجهة منفكة. فكل واحد من الإيجاز. والإطناب. قد ورد. فى جهة غير جهة الآخر، ولا ريب أن إيهام الجمع بين المتنافيين من الأمورالمستغربة المستظرفة التى تدخل اللذة على النفس .

ومما يتجلى فيه هذا التوهيم: **(الإيضاح بعد الإبهام)** الحاصل فى باب **(نعم وبئس)** كقول سويد بن أبى كاهل اليشكرى :

بِئْسَ ما يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنى مَطْعَمٌ وَخْمٌ ودَاءٌ يُدَّرَعْ

يبين لنا التبريزى الإيضاح بعد الإبهام فى البيت بقوله: " يدرع: أى يلبس، ووخم: غير مَرِىء، وبئسما: المرتفع ببئس أضمر على شريطة التفسير، كأنه

(١) الشعراء : ١٦٨ ٠
(٢) تحرير التحبير : ص٣٥١ ٠

قال: بئس الشيء شيئا يجمع إلى اغتيابى وثلبى، طعام تستوخم عاقبته، وداء ملبوس لا يُبرأ منه " [1].

فقد حصل الإيجاز من جهة حذف المبتدأ الوارد فى الجملة الثانية، أى: المذموم مطعم وخم وداء يدرع، بينما الإطناب حصل من جهة ذكر الخبر (المخصوص بالذم) وهو: مطعم وخم وداء يدرع ، وذلك بعد ذكر ما يعمه، وهو فاعل بئس، فالإطناب . كما ترى . مرتبط بمجموع الجملتين معا، فقد انفكت الجهة حينئذ، لكن ظاهر الأسلوب يوهم أنه هنا جملة واحدة، مما يوهم إمكانية الجمع بين كل من الإيجاز والإطناب [2].

وقد يحصل هذا النوع من التوهيم بطريق الإدماج: " وهو أن يضمن كلاماً سيق لمعنى معنى آخر فهو أعم من الاستتباع " [3]، ومنه قول ابن المعتز في الخِيرِيِّ :

قدْ نَفَضَ العاشِقونَ ما صنعَ الهَجْرُ بألوانهمْ على وَرَقِهْ

فإن الغرض هو وصف الخيرى بالصفرة، ولكنه لم يقتصر على هذا الوصف، بل بسط اللفظ؛ لما فى البسط من إدماج الغزل فى الوصف؛ إذ شبَّه صفرة الخيرى بصفرة ألوان المهجورين٠ وفيه وجه آخر من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين،أعنى: الإيجاز والإطناب، أما الإيجاز فحاصل من جهة الإدماج، وأما الإطناب فلأن أصل المعنى أنه أصفر، فاللفظ زائد عليه لفائدة [4].

٢. إيهام المطابقة:

إيهام المطابقة: هو الجمع بين معنيين غير متقابلين عُبرعنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان ٠ ومن إيهام التضاد قول أبى تمام :

---

(١) شرح المفضليات : للتبريزى :٢/٧٣٤. تح /محمد على البجاوى . طبع ونشر دار نهضة مصر٠

(٢) ينظر : شروح التلخيص : ٣ / ٢١٤(بتصرف).

(٣) الإيضاح : ص ٢١٢ ٠

(٤) المصدر السابق : ص٢١٢، ٢١٣ ٠

وتَنَظَّرِى خَبَبَ الرِّكَابِ يَنُصُّهَا مُحْيِي القَرِيضِ إلىَ مُمِيتَ المَالِ(١)

فليس بين " محيي " و " مميت " تضاد بالمعنى؛ لأن " محيي القريض " هنا كناية عن مجيده،ويعنى به نفسه، و" مميت المال " كناية عن مفنيه فى الكرم، ولكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد؛ وذلك بالنظرً إلى الظاهر والحمل على الحقيقة٠

وكذا قول تأبط شرا :

قليلُ التَّشكَّى للُمِهمَّ يُصِيبُهُ كثيرُ الهَوىَ شتَّى النَّوى والمسالكِ

حيث قال: **"** استعمل لفظ " القليل " والقصد إلى نفى الكل٠٠٠وليس يراد به إثبات قليل من كثير، **فإن قيل:** من أين ساغ أن يستعمل لفظ القليل من الشىء وهو للإثبات فى النفى؟ **قلت:** إن القليل من الشىء فى الأكثر يكون فى حكم مالا يعتد به، ولا يعرج عليه؛ لدخوله بخفة قدره فى ملكة الفناء، فلما كان كذلك استعمل لفظه فى النفى على ما فى ظاهره من الإثبات، وقوله: " كثير الهوى شتى النوى " طابق " الكثير " " بالقليل " لفظا لا معنى **"**(٢)٠

٣. إيهام التناسب :

إيهام التناسب: هو أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان وإن لم يكونا مقصودين ٠

وذلك نحو قوله .تعالى .: **﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾**(٣)، فالنجم أكثر ما يطلق على نجم السماء، فيتبادر إلى الذهن أنه بهذا المعنى المتعارف عليه يتناسب مع الشمس والقمر؛ لأنه يقترن معهما فى

(١) الخَبَبُ : ضرب من العَدْوِ، وقيل: هو مثل الرَّمَلِ، وقيل: هو السرعة٠ النَّصُّ: التحريك حتى تستخرج من الناقة أَقصَى سيرها٠

(٢) شرح ديوان الحماسة :٤٧/١.

(٣) الرحمن :٥، ٦ ٠

الخيال، لكنه بحسب المعنى المراد منه فى الآية ليس بينهما مناسبة؛ إذ المراد به ما لا ساق له من النبات ٠

وقال زياد بن حمل :

والوَشْم قد خَرَجَتْ مِنْهُ وقابلها من الثَّنـايَا التى لم أَقْلِهَا ثَرَمُ(١)

فالمراد بالثنايا: جمع ثنية وهى العقبة أو الطريق بين الجبال، والثرم: جبل باليمامة، وهما بهذا المعنى المراد فى البيت لا يتناسبان، لكن " الثنايا " : قد تطلق على الأسنان. الأربع التى فى مقدم الفم. اثنتان. من فوق واثنتان. من أسفل، و " الثرم " : صدع يكون فى الثنية، ففيهما باعتبار هذا المعنى مناسبة، وهذا مما قد يتوهمه المتلقى وإن كان غير مراد فى البيت (٢)٠

٤. إيهام الاستطراد :

الاستطراد: هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثانى، هذا أصله، وقد يكون الثانى هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه٠

كقول أبي إسحاق الصابي :

إن كنتُ خُنتكَ في المَودَّةِ سَاعةً فَذَمَمتُ سَيفَ الدولْةِ المَحْمودُا
وزَعَمتُ أنَّ له شَرِيكاً في العُلَى وجَحدْته في فَضلِه التَّوحِيدا
قَسَماً لو أنِّي حَالفٌ بغموسِهَا لغَرِيمُ دَيْنٍ مَا أرَادَ مَزِيدا

وقال الخطيب القزوينى: ولا بأس أن يسمى هذا الضرب **(إيهام الاستطراد)** (٣)٠

---

(١) الوشم: موضع باليمامة يشتمل على خمس قرى عليها سور واحد من لبن، وفيه نخيل وزروع، وقلاه: أبغضه٠المعنى: أتمنى مرورى على الوشم الذى تخرج منه فرسى ويقابلها ثرم من العقبات التى لم أبغضها٠

(٢) شرح ديوان الحماسة : ٣/١٨٥.

(٣) الإيضاح : ص ٢٠٠ ٠

فقد ذكر الشاعر أنه أقسم له على عدم خيانته للممدوح بيمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته لاكتفى بها؛ لأن عظم شأنها وإثمها يقوم عنده مقام دينه، فذكر حديث خيانته ليتوصل به إلى مدح سيف الدولة، وهذا قد يُتوهم منه أن المتكلم سيعود بعد ذلك لحديث الخيانة كما هو الشأن فى الاستطراد، فإذا به يسترسل فى الحديث عن الممدوح؛ لأنه المقصود من الكلام، وقد عد الأستاذ الدكتور/ عبد المتعال الصعيدى هذه الصورة من **(حسن التخلص)** [1].

٥. إيهام التورية :

استشهد ابن أبى الإصبع لتوهيم التورية بقوله :

رَمَى ولا وِتْرَعِندَه قَوسُ حَاجِبِه قَلبِى فَقَدَّرتُ أن القَوسَ مَوتُورُ

وعقب عليه قائلا: " فإن لفظة " موتور" توهم أن فيها تورية، وليست بتورية؛ لأن الصحيح أن يقال: قوس مُوتَرة [2] لا موتورة؛ لأنها من فعل رباعى(أوتر)، والموتور: هو الذى ثار لطلب وتره، والوتر والترة والتار بمعنى " [3].

** ** **

خامسا : التـوهيم بالغلط :

نورد . بعون الله . صورا متى بُنى فيها على ظاهراللفظ، ولم ينظرالمتلقى فى موجب المعنى حكم بحصول فساد ما أو وقوع خطأ فى النظم، ولكنه إذا تُؤمل حق التأمل

وجده جاريا على نهج البلاغة وقواعدها، ومن صور ذلك :

١. التوهيم بالتصحيف :

---

(١) بغية الإيضاح : ٤/٥٩١ .

(٢) قال اللحياني: " وَتَّرَها وأَوْتَرَها : شَدَّ وَتَرَها " .ينظر: لسان العرب: لابن منظور: مادة (و.ت .ر) . تح/ عبد الله على الكبير وآخرين – دار المعارف.

(٣) ينظر : تحرير التحبير : ص٣٥١ .

وهو أن يأتى المتكلم بكلمة توهم بما بعدها من الكلام أنه أراد تصحيفها ومراده خلاف ما يتوهمه السامع [1].

فقد حكى " أن بعضهم كان لا يحسن التلاوة فقرأ﴿**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى** غُرّةٍ **وَشِقَاقٍ**﴾ [2] بالعين المعجمة وللراء. وهو حسن. فوهم لذلك مبالغة؛ ليقرن الشقاق بالغرة، وهذا لايقع فيه إلا الأذكياء من الناس" [3].

وكقول أبى الطيب :

صُنَّا قَوَائمَها عَنْهُمْ فما وَقَعتْ مَواقَعَ اللُّؤْمِ في الأيْدِي ولا الكَزَمِ

فالكَزَم: هو القصر فى أصابع اليد، وهذا يوهم أنه الكرم . بالراء .[4]؛ لوجود ما يناسبه بالتضاد وهو " اللؤم "، وإنما هو بالزاى، والمعنى على هذا: صنا قوائم السيوف فما وقعت إلا فى أيدينا؛ لأننا نحسن العمل بالسيف، فنحن أربابها، بخلاف أعدائنا؛ لذا فهم لم يسلبونا قوائم سيوفنا، حتى تقع فى بواطن أيديهم التى هى مواقع اللؤم والقصر عن بلوغ الحاجة، فإذا لم يسلبها الأعداء منهم فما وقع فيهم إلا مضاربها .

٢. التوهيم بالتحريف :

وهو أن يأتى المتكلم بلفظة يوهم بها أن فى كلامه لحناً خارجا عن قواعد العربية، فإذا انتُقِد من جهة المعنى وجد فيه جناس من البلاغة يصححه على طريق الإعراب.

كقول الرسول ﷺ . فيما رواه عنه ابن عباس . رضى الله عنهما .: **((وما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله . تعالى . من هذه الأيام العشر))** [5].

فإن لفظة " العشر" توهم أنها جاءت على غير الصواب؛ إذ الأصل أن تكون مؤنثة، لأن المعدود بها مذكر، وللخروج من هذا الإشكال **قيل:** إنه لما كان العمل فى العشر لا يخص الأيام دون الليالى، والمراد التحضيض على العمل

(١) تحرير التحبير : ص٣٤٩، خزانة الأدب : ٣٤٠/٢، شرح عقود الجمان : ص١١٦

(٢) ص : ٢، والصواب (فى عزة) بالعين المهملة والزاى.

(٣) فض الختام عن التورية والاستخدام : ص ١٥٣ .

(٤) البديع فى البديع : ص ١٣٣ .

(٥) أخرجه الترمذى فى سننه: (باب ما جاء فى العمل فى الأيام العشر):١٣٠/٣، ح٧٥٧

فيها، اقتضت البلاغة الإتيان بما يدل عليهما، فصرح بلفظ " الأيام " ليدل بها على ظرف الصيام، وأبدل منها لفظاً مؤنثاً ليدل به على ظرف القيام، ولما كان لفظ " الأيام " مؤنثاً ساغ أن يبدل منه المؤنث لكون الصناعة لفظية، ولهذا الموضع من البدل نظائر فى القرآن الكريم، منها: قوله . تعالى . :﴿ **أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾ (١).

ومما يوقع فى حيز التوهم بتخطئة المتكلم : أن يخالف المتكلم طريق الإعراب، ولكن هذه المخالفة لجأ إليها فى الحقيقة لأجل صحة المعنى المراد، ومن ذلك قوله . تعالى .:﴿ **وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ**﴾(٢)، والقياس: أن يكون ﴿**يُنْصَرُونَ**﴾ مجزومة؛ لأنها معطوفة على مجزوم، ولكن لما كان المراد بشارة المسلمين بالإخبار بأن عدوهم لا يُنصر أبداً أُلغى العطف، وأُبقى صيغة الفعل على حالها؛ لتدل على الاستقبال أيضا، ولو ورد الفعل مجزوما لما أفاد سوى الإخبار بأن العدو لا ينتصر فى الحال، وفى زمن المقاتلة، ووقت التَولِّى، ولا يفيد ذلك خذلانهم على الدوام فى كل حال، فلذلك عدل عن هذا إلى ما جاء به التنزيل؛ ليكون مجيء الفعل الثانى غيرمجزوم حال كونه معطوفا على مجزوم؛ منبها السامع على السبب الذى من أجله عدل عن قاعدة الإعراب (٣).

٣. *التوهيم بالتناقض:*

نخص بالذكر صورتين قد يوهم ظاهرهما الحكم على كل منهما بالتناقض، وهما ليسا فى الحقيقة كذلك، ألا وهما:

---

(١) البقرة : ١٨٤ . تحرير التحبير: ص٣٥٠ (بتصرف) .

(٢) آل عمران : ١١١ .

(٣) تحرير التحبير: ص٣٥٠، وبديع القرآن: ص١٣٢، ١٣٣(بتصرف) .وينظر: إعراب القرآن وبيانه : للأستاذ/ محيى الدين درويش: ٢/٢٤. طبع ونشر/ داراليمامة بدمشق . ودار ابن كثير. وبيروت . ط٣ .

الصورة الأولى : قد تختلف الألفاظ فى العبارة عن المعنى الواحد مما يوهم المبتدئ أن هناك تعارضا واختلافا بين آيات القرآن الكريم، وليس به فى الحقيقة، فاحتيج لإزالته؛ لأن كلام الله ﷻ منزه عن الاختلاف والتناقض مصداقا لقوله . تعالى .: **﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾**(١)، وقد أرسى العلامة الزركشى قاعدة درءا للوقوع فى مثل هذا النوع من التوهيم، ألا وهى: **" ٠٠أن الألفاظ إذا اختلفت وكان مرجعها إلى أمر واحد لم يوجب ذلك اختلافا "** (٢)٠

ومن التوهيم بالتناقض: أن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: رأيت أشياء تختلف علىّ من القرآن، فقال ابن عباس: ما هو؟ أشكٌّ؟ قال: ليس بشك، ولكنه اختلاف، قال: هات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع الله يقول: **﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾**(٣)، وقال: **﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾** (٤) فقد كتموا، فقال ابن عباس: أما قوله: **﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ...﴾** فإنهم لما رأوا يوم القيامة والله يغفر لأهل الإسلام، ويغفر الذنوب، ولا يغفر شركاً، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، جحده المشركون؛ رجاء أن يغفر لهم، فقالوا:**﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾** فختم الله على أفواههم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً، فحاصل جواب ابن عباس: أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم(٥)٠

(١) النساء : ٨٢ ٠
(٢) البرهان : ٢ / ٤٦ ٠
(٣) الأنعام : ٢٣ ٠
(٤) النساء : ٤٢ ٠
(١) الإتقان : ٣ / ٧٢، ٧٣ ٠

ويحكى عن أبى العباس بن سريج قال: سأل رجل بعض العلماء عن قوله . تعالى .: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) فأخبر أنه لا يقسم بهذا، ثم أقسم به فى قوله:﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ (٢) فقال ابن سريج : أى الأمرين أحب إليك: أجيبك ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك ؟ فقال: بل اقطعنى ثم أجبنى، فقال: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهرانى قوم، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا، وعليه مطعنا، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرت، ثم قال له: إن العرب قد تدخل " لا " فى أثناء كلامها وتلغى معناها، وأنشد فيه أبياتا (٣).

الصورة الثانية : التغاير: وهو أن يغاير المتكلمُ نفسَه فى المعنى الواحد، بحيث يمدح شيئا ثم يعود فيذمه، أو أن يفضِّل شيئاعلى شىء، ثم يعود فيجعل المفضول فاضلا، والفاضل مفضولا (٤).

ومنه قول قريش عن القرآن: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ (٥)، وذلك إنكارا منهم لغرابة أسلوبه، وما بهرهم من فصاحته، وهذا الكلام الصادر منهم يلزم إقرارهم بالعجز عنه، ثم غايروا أنفسهم فى وقت آخر، فقالوا:﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ (٦).

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو : هل يُعَد التغاير فى قول المشركين ضربا من التناقض فى القول؟ أجاب عن هذا ابن أبى الإصبع قائلا: "ولو كان القولان فى وقت واحد لكان ذلك تناقضا، وهو عيب، ولم يعد من المحاسن، لكنه

(٢) البلد : ١ .
(٣) التين : ٣.
(٤) البرهان : ٢ / ٤٦ .
(٥) بديع القرآن : ص١٠٥ .
(٦) المؤمنون :٣٤ .
(٧) الأنفال :٣١ . ينظر : بديع القرآن : ص١٠٥ .

لوقوعه فى زمنين مختلفين، ووقتين متباينين، لا يعد من العيوب، واعتد به من المحاسن، ولذلك سمى تغايرا لا تناقضا"[1].

ومن التغاير أن يمدح المتكلم مخاطبه بما يتصف به من كريم الخصال وحميد المفعال،. ثم يذمه من وجه آخر لما يتصف به من مساوئ الأخلاق ومذمومها، وقد تجلى هذا عندما سأل رسول الله عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر فقال: " عمرو مطاع فى أُذينه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره، فقال الزبرقان: والله يا رسول الله إنه ليعلم منى أكثر مما قال، ولكنه حسدنى شرفى، فقال عمرو: أما لئن قال ما قال، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر، زمر المروءة، أحمق الوالد، لئيم الخال، حديث الغنى، فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول، ورأى الإنكار فى عين رسول الله، قال: يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت فى الأولى، ولقد صدقت فى الأخرى، فقال رسول الله عند ذلك: إن من البيان لسحرا " [2].

٤. التوهيم بخلو القلب عن الفائدة :

القلب: هو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكان ذلك الأحد، مع إثبات حكم كل منهما للآخر [3] .

من صور القلب التى يوهم ظاهرها أن الكلام قد قلب فيها عن وجهه لغير فائدة قوله . تعالى .: **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾** [4]، فإن الكلام لو جاء على وجهه لقال: ومثل الذين كفروا كمثل الضأن المنعوق بها، ومثل الرسول الداعى لهم كمثل راعى الضأن الذى ينعق

(١) المصدر السابق : ص١٠٥، ١٠٦ .
(٢) جمهرة خطب العرب : أحمد زكى صفوت :١٦٤/١، ١٦٥ . المكتبة العلمية . بيروت .
(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص :٤٨٦/١، ٤٨٧ .
(١) البقرة :١٧١ .

بما لا يسمع، وقد أفاد القلب فائدة لا تتحقق حال جريان الكلام على وجهه، وتكمن هذه الفائدة فى مجىء الكلام غير منفر عن الرسول، جاريا على سنن الأدب معه ﷺ؛ لأن التصريح بتشبيه الكفار بالضأن . وهى عند العرب شر مال . منفر عن الرسول ﷺ، كما أن فى التصريح بتشبيه الرسول ﷺ بالراعى الذى ينعق بالضأن غض من جلالته، ومخالف للأدب فى مخاطبته، وقد علمنا مكانته عند ربه، وتلطفه فى مخاطبته ،

وما جاء القرآن بهذا القلب وأيضا الحذف إلا ليؤدبنا به، ويعرفنا حقه، ويعلمنا كيف نخاطبه ، وتقدير الكلام قبل الحذف: ومثل الذين كفروا، والداعى لهم: كمثل الضأن المنعوق بها، وكمثل الذى ينعِق [1].

٥. التوهيم بالزيادة غير المفيدة فى الكلام :

قد يقع فى كلام الأديب كلمة أو أكثر يوهم ظاهر الكلام بأنها معدودة من قبيل الزيادة المستغنى عنها؛ إما لأنها لا تضيف جديدا إلى المعنى، أو نظرا لما يترتب عليها من فساد فى المعنى وذلك بحسب الظاهر، ولكن الحق خلاف هذا؛ لأن هذه الزيادة وردت لنكتة بلاغية يقتضيها السياق، ولولاها لاختل المعنى المراد .

ومما ورد من ذلك فى الكتاب العزيز قوله . تعالى .: ﴿**قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ**﴾[2] " فإن ظاهر اللفظ يوهم أن لفظة ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ مستغنى عنها؛ للعلم بأن الله . سبحانه . لا يحكم إلا بالحق، فإنه قد ثبت أنه موصوف بالعدل بالدليل العقلى، فعدل عن المساواة، وأتى بهذه الزيادة؛ ليضمن الكلام ضرباً من المحاسن يسمى (الافتنان)، فإن المراد تعجيل ما يستحقه الكفار من العذاب؛ ولذلك

---

(٢) بديع القرآن : لابن أبى الإصبع : ص١٣٦، ١٣٧ (بتصرف) . تح . د/ حفنى محمد شرف . طبع ونشر / نهضة مصر .١٩٩٧م.

(٣) الأنبياء : ١١٢ .

حصل فى الكلام افتتان: وهو الجمع بين الأدب والهجاء؛ لأن من يستحق الدعاء عليه بالعقوبة ملوم " [1].

وقوله . تعالـ:﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[2]، فقد جاءت زيادة " لا " التى أوهمت ظاهرها فساد المعنى؛ إذ ظاهر الكلام يدل على تحريم نفى الشرك، وملزومه تحليل الشرك، وهذا خلاف المعنى المراد، لكن التأويل الذى يحل هذا الإشكال هو: أن الله ﷻ قال لنبيه ﷺ : قل لهؤلاء: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، فلما اجتمعوا إليه قال لهم: وصاكم ربكم ألا تشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا، ثم ساق بقية الوصايا، فكأنه . والله أعلم . دعاهم إلى الاجتماع، فلما اجتمعوا ذكَّرهم الوصايا، ويشهد لصحة هذا التأويل قوله . تعالى . بعد الفراغ من هذه الوصايا: ﴿ **ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ**﴾.

فإن قلت: فلِمَ لَمْ يصرح بلفظ يقتضى تحريم الشرك من غير زيادة فى اللفظ حتى لا يُشكل بها المعنى، ويصير المفهوم من اللفظ بسببها ضد المعنى المراد، فيأتى الكلام عاريا من لفظة " لا "، بحيث يقال: أتل ما حرم ربكم عليكم أن تشركوا به شيئا؟ **قلت:** لو جاء اللفظ بغير هذه الزيادة لامتنع عطف بقية الوصايا على الجملة المجردة عن حرف النفى، واضطرب معنى الكلام وفسد، وجاء على ضد الصواب؛ إذ يصير المعنى: حرم عليكم الشرك والإحسان للوالدين .. إلخ، وهذا ضد المعنى المراد، فلذلك جاءت الزيادة التى أوهم ظاهرها فساد المعنى؛ ليلجئ إلى التأويل السابق الذى يصح به عطف بقية الوصايا [3].

---

(١) تحرير التحبير : ص٢٩٣ .

(٢) الأنعام : ١٥١.

(١) بديع القرآن : ص١٣٣ :١٣٥ (بتصرف) .

٦. التوهيم بالإخلال بالتناسب :

يُعَد **(تشابه الأطراف)** نوعا خاصا من مراعاة النظير، ويتحقق هذا: بأن يختم الكلام بما يتناسب مع أوله فى المعنى، وهناك ضرب منه خفى فيه وجه المناسبة بين ابتداء الكلام وآخره؛ نظرا لدقة مسلكه، فيحتاج من المتلقى إلى تدبر مطاويه، وإمعان النظر فيه؛ لالتماس تلك المناسبة من خلال السياق الوارد فيه، وإلا وقع المتعجل وضعيف التأمل فى وهم التنافر، وعدم صحة ترتيب النظم، والبعد عن وصل الشكل بالشكل.

ومن الآيات ما يشكل فاصلته فيحتاج إلى فكرة وتأمل، حيث يوهم ظاهره أنه متنافر غير متشاكل، ومتخالف غير متماثل، لكنه إذا ما تؤمل حق التأمل بان لك أنه من أصح الترتيب وأحسنه، وأوضح التأليف وأبينه، ومن خفي هذا الضرب قوله . تعالى: **﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**(١)، فإن قوله: **﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾** يوهم السامع أن الفاصلة " الغفور الرحيم "، ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، فهو " العزيز "؛ لأن العزيز في صفات الله هو الغالب ... ووجب أن يوصف " بالحكيم " أيضا؛ لأن الحكيم من يضع الشيء في محله، والله . تعالى . كذلك، إلا أنه قد يخفي وجه الحكمة فى بعض أفعاله، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكان في الوصف " بالحكيم " احتراس حسن، أى: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد فى ذلك، والحكمة فيما فعلته "(٢).

(٢) المائدة : ١١٨ .
(١) الإيضاح : ص ٣٢٥ .

وروى أن قارئا قرأ ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بدل ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فسمعه أعرابى لم يقرأ القرآن من قبل، فأنكر عليه ذلك، وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا؛ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه [1].

ومنه قوله . تعالى .: ﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾ [2]، فقد يتوهم متوهم أن القياس عدم الفصل بين الجوع والظمأ، والعري والضحو؛ للتجانس والتقارب، لكن العلامة الألوسى صرح بأنه عدل عن المناسبة المكشوفة إلى مناسبة أتم منها، وهى أن الجوع: خلو الباطن، والعرى: خلو الظاهر، فكأنه قيل: لا يخلو باطنك وظاهرك عما يهمهما، وجمع بين الظمأ: المورث حرارة الباطن، والبروز للشمس . وهو الضحو . المورث حرارة الظاهر، فكأنه قيل: لا يؤلمك حرارة الباطن والظاهر، وذلك هو الوصل الخفى [3].

ومما توهمه سيف الدولة الحمدانى أنه معدود من فساد المجاورة، وأنه قد قُلب فيه وجه الترتيب، وعُدل عن محجة التأليف قول المتنبى الذى أنشده إياه:

وقفتَ وما في المَوتِ شكٌّ لواقفٍ كأنّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وهو نَائمُ
تمرُّ بكَ الأبطالُ كَلْمى هزيمةً ووجْهُكَ وضَّاحٌ وثَغْرُكَ باسمُ

فقد قال سيف الدولة: قد انتقدنا عليك هذين البيتين، كما انتُقِد على امرئ القيس بيتاه:

كأنى لمْ أركَبْ جَواداً للذةٍ ولم أتَبَطنْ كَاعباً ذات خلخالِ
ولم أسْبأ الزِّقَّ الرَّويَّ ولم أقُلْ لخَيلي: كُرِّى كرةً بعد إجْفَالِ

---

(٢) التبيان : ص ٣٥٤، ٣٥٥ .

(٣) طه :١١٨، ١١٩.

(٤) روح المعانى : للألوسى : ١٦ / ٢٧٢ ـ دار إحياء التراث العربى . بيروت . إدارة الطباعة المنيرية . ط٤.١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م.

لأنه جعل الغزل مجاوراً للشجاعة في البيتين، ولالأجود مجاورة الشجاعة للشجاعة والغزل للغزل، فكان يجب أن يقول:

كأني لمْ أركَبْ جَواداً ولم أقُلْ لخَيلي : كُرِّى كرةً بعد إجْفَالِ

ولم أسْبأ الزِّقَّ الرَّويَّ للذةٍ ولم أتَبَطنْ كَاعباً ذات خلخالِ

وأيضا بيتاك لا يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا هذين البيتين، فالأجود أن تقول:

وقفتَ وما في الموتِ شكّ لواقِفٍ ووجهكَ وضَّاحٌ وثَغْرُك باسِمُ

تمرُ بكَ الأبطالُ كَلْمىَ هزيمةً كأنكَ فى جفنِ الرَّدى وهو نائِمُ

لكن المتنبى ذكر أن ما ذهب إليه وكذا امرؤ القيس هو النهاية فى التشابه؛ وذلك لأن امرأ القيس أراد أن يجمع بين الشىء وما يجانسه، فجمع فى البيت الأول بين لذتين: لذة ركوب الجواد للهو والمتعة والصيد لا للإغارة والغزو، ولذة النساء. وقرن فى البيت الثانى بين: السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء؛ للتضايف بين كل من

الفريقين ٠٠٠وكذا المتنبى لما ذكر الموت أتبعه بذكر الردى . وهو الموت . ليجانسه، ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً، وعينه من أن تكون باكية، قال: ووجهك وضاح، وثغرك باسم؛ ليجمع بين الأضداد بالمعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها، فأعجب سيف الدولة بقوله، ووصله بخمسين دينارا من دنانير الصلات، قيمتها خمسمائة دينار[1]٠

٧. التوهيم بفساد المقابلة:

من أسباب فساد المقابلة الإخلال بذكر بعض المعانى المتقابلة؛ ورب كلام وقع فى ظاهر لفظه ما يوهم فساد صحة المقابلة؛ لكون الأديب لم يذكر قسما فيها بالفعل، وهى منه براء؛ لأنه مذكور بالقوة فى باطنها ٠

(١) ينظر: البديع فى البديع : ص٢١٦: ٢١٨ ٠

ومما يوهم هذا قوله . تعالد: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا**﴾ (١)، " فقدم في صدر الكلام أمران: الوعد بالفقر، والأمر بالفحشاء،ثم قابل الشيئين في الظاهر بشيء واحد وهو الوعد، فأوهم أنه أخل بذكر الأمر، وليس كذلك، وإنما لما كان الفضل مقابلاً للفقر، والمغفرة مقابلة للأمر بالفحشاء؛ لأن الفحشاء توجب العقوبة، والمغفرة تقابل العقوبة، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله؛ لأن ذكر أحدهما ملزوم ذكر الآخر" (٢).

ومما ورد منه فى الشعر الفصيح كقول القائل :

أسرناهُمْ فأنْعمنا عَليهم وأسْقَينَا دِماءَهُمُ الترابَا

فما صَبروا لبأس عنْد حَربٍ ولا أدّوا لِحسن يدٍ ثَوَابَا

فظاهر لفظ البيتين يؤذن بأن الشاعر أخل بمقابل قوله: ***وأسْقَينَا دِماءَهُمُ الترابَا*** * لأنه قابل البأس بسلب الصبر، والإنعام بنفى الثواب، وليس الأمر كذلك؛ لأن كلا من القتل والأسر داخل في بأس الحرب، فهما شيء واحد، وإن تعدد مقابلهما معاً بالصبر؛ لأنه يكون عليهما(٣).

٨. التوهيم بالإخلال بصحة التقسيم:

تتحقق صحة القسمة باستيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئاً، وقد يرد من النصوص الرفيعة ما يوهم ظاهره أن استيفاء الأقسام ليس شرطا، وأن ترك بعض الأقسام لا يقدح فى الكلام، ومما ورد منه فى القرآن الكريم قوله . تعالى .: ﴿**فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا**﴾(٤)، وقوله . تعالى .: ﴿**لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ**

(١) البقرة :٢٦٨ .
(٢) تحرير التحبير : ص ١٨٣ .
(٣) السابق : ص ١٨٣، ١٨٤ .
(٤) آل عمران : ٩٧ .

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (١)، فقد ذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار .

وقد أجاب ابن الأثير عن هذا واضعا مقياسا لهذه الآية وغيرها من نظائرها: بأن ما يجرى هذا المجرى إنما ينظر فيه إلى المستبهم وغير المستبهم، حيث يلزم استيفاء الأقسام فيما استبهم الإجمال فيه خلافا لغيره، ألا ترى قوله . تعالى .: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** (٢)،فإنه حيث قال: **﴿فَمِنْهُمْ﴾** لزم اسيتفاء الأقسام الثلاثة، ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز، وأما هذه الآية التى هى**﴿لا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾** فإنه إنما خص أصحاب الجنة بالذكر؛ للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم، ولو خص أصحاب النار بالذكر لعُلِم أيضاً ما لأصحاب الجنة (٣).

وكذا قوله . تعالى .: **﴿فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا ﴾**(٤)، فقد ذكر أقساما فى قوله: **﴿فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾** ولكنه لم يستوفها ؛ لأنه ذكر آيتين فحسب، وهما مقام إبراهيم عليه السلام، وأَمْن مَنْ دخله، وهناك آيات أخرى كثيرة لم تذكر منها: إنمحاق الجمار مع كثرة الرماة، وامتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض به، وتعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حرمة٠٠٠إلخ، ومن الوجوه التى أجازها العلامة الزمخشرى فى تعليل ذلك قوله: " يجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكرغيرهما؛ دلالة على تكاثر الآيات، كأنه قيل: فيه آيات بينات: مقام إبراهيم، وأمن من دخله، وكثير سواهما، ونحوه فى طيِّ الذكر قول جرير :

كَانَتْ حَنِيفَةُ أَثْلاَثاً : فَثُلْثُهُمو مِنَ الْعَبِيدِ، وَثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيهَا

---

(١) الحشر : ٢٠ .
(٢) فاطر : ٣٢ .
(٣) المثل السائر: ٢٨٨/٢ .
(٤) آل عمران : ٩٧ .

ومنه قوله ﷺ: " **حبب إلىّ من دنياكم ثلاث : الطيب، والنساء، وقرة عينى في الصلاة**"(١).

فالقسم الثالث المحذوف فى قول جرير :أى: وثلث صرحاء؛ لأنه لو علم حكم الثلثين، وتحقق وصفهما، فقد تحقق حكم الثلث الباقى قطعا (٢).

والأمر الثالث المحبب إلى الرسول ﷺ من أمور الدنيا هو الطعام، كما يفيده قول السيدة عائشة . رضى الله عنها .: ((**كان يعجبه ثلاث: الطيب والنساء والطعام، فأصاب اثنين ولم يصب واحدا: أصاب النساء والطيب، ولم يصب الطعام**)) (٣).

يتضح مما سبق أنه ليس بالضرورة أن يكون كل تقسيم لم يستوفِ أقسامه من المعنى يُعَد معيبا؛ لأن الأديب قد يدع بعض الأقسام لمخيّلة القارئ ليفهمه من السياق .

٩. التوهيم بالإخلال بالتجنيس :

مما يطرأ على وهم المتلقى أن المتكلم قد فاته التحسين اللفظى بطريق التجنيس؛ وذلك لعدوله عن اختيار لفظة بعينها، مع العلم بأن هذه اللفظة تؤدى معنى اللفظة المختارة لديه مع زيادة رعاية التحسين اللفظى، ومما يتجلى فيه هذا الوهم قوله . تعالى .:﴿ **أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ**﴾(٤)، قال الكاتب الملقب بالرشيدي: " لو قيل: أتَدْعُون بعلا وتَدَعُون أحسن الخالقين،

---

(١) الكشاف : ٣٤٣/١ . الحديث رواه أنس بن مالك .أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى: (باب الرغبة فى النكاح) ٧ / ٧٨، ح١٣٢٣٢ .

(٢) المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع: للسجلماسى :ص١٩٣. تح.د/ علال الغازى . مكتبة المعارف . المغرب . مطبعة النجاح الجديدة.

(٣) فيض القدير: للمناوى: ٥ / ٥١١ ـ دار الفكر ـ بيروت . ط١.١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٤) الصافات : ١٢٥ .

أوهم أنه أحسن؛ لأنه كان لأن تحصل به رعاية معنى التجنيس أيضا مع كونه موازنا " لتذرون "[1] .

وقد أجيب على هذا الوهم الذى يتطرق إلى الذهن بعدة أجوبة منها:

ما أجاب به **الرازى** بأن فصاحة القرآن ليس لأجل رعاية هذه التكلفات، بل لأجل قوة المعانى وجزالة الألفاظ [2].

وأجاب **الجويني** عن هذا بما يمكن أن يتخلص منه، فقال: إن " يذر" أخص من " يدع "؛ وذلك لأن الأول بمعنى ترك الشيء اعتناء، ومما يشهد له الاشتقاق نحو: " الإيداع " فإنه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها؛ ولهذا يختار لها مَنْ هو مؤتمن عليها، ومن ذلك" الدِّعة " بمعنى الراحة، وأما " تذر" فمعناها الترك مطلقا، والترك مع الإعراض، والرفض الكلى، ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول، فأريد هنا تبشيع حالهم فى الإعراض عن ربهم، وأنهم بلغوا الغاية فى الإعراض، وقد ارتضى الإمام الزركشى هذا الرأى معضدا إياه بما ورد من استعمالات لفظة " يذر" فى فصيح الكلام[3].

ومن العدول عن الجناس لفائدة معنوية قوله . تعالى .: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾[4] فمعناه: وما أنت مصدق لنا، وقد يتوهم متوهم فيقول: ما الحكمة فى العدول عن الجناس؟ وهلا قيل: وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين؟ فإنه يؤدى معنى الأول مع زيادة رعاية التجنيس اللفظى، **والجواب:** أن فى " مؤمن لنا " من المعنى ما ليس فى "مصدق "، وذلك أنك إذا قلت: " مصدق لى " فمعناه: قال لى: صدقت، وأما "مؤمن " فمعناه مع التصديق

(١) ينظر: مفاتيح الغيب : للرازى: ٢٦ / ١٤١ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، البرهان: ٣ / ٤٥٢(بتصرف) .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦ /١٤١، البرهان: ٣ / ٤٥٢(بتصرف) .

(٣) البرهان: ٤٥٣/٣(بتصرف) .

(٤) يوسف :١٧ .

إعطاء الأمن، ومقصودهم التصديق وزيادة، وهو طلب الأمن، فلهذا عدل إليه[1].

** ** **

سادسا : التوهيم المعيب :

قد لا يراعى الأديب الدقة فى نظمه، وذلك بسبب غفلة ما عرضت له أو هاجس خطر له، فلا يحترز أو يحتاط فى كلامه، مما قد ينشأ عنه فى ذهن السامع توهم معنى لا يقصده ، وهناك أكثر من سبب لوقوع المتلقى فى هذ ا النوع من التوهم، منها:

١. انعدام القرائن أو ضعفها :

يحتاج المتكلم فى استعمال الألفاظ المشتركة إلى قرينة تخصصها ضرورة، وهذه القرينة ينبغى أن تكون قوية بحيث تميز بين المشتركين تمييزا تاما، أما إذا وردت مهملة بغير قرينة، أو كانت القرينة ضعيفة فلا تفيد؛ لأنها ستوقع المتلقى فى حيز الوهم.

ومثال ما ورد مهملاً بغير قرينة فجاء قبيحا قول أبى تمام:

أعْطَيتَ لي ديَّةَ القَتيلِ وليْسَ لى عَقلٌ ولا حَقٌ عَليكَ قديمٌ

فإن المتبادر إلى الأفهام من قوله: " وليس لى عقل " أنه من العقل الذى هو ضد الجنون، ولو قال: وليس لى عليك عقل، لزال اللبس [2].

ومما يستدل به على ضعف القرينة لفظة " مقاعد "، فهى مشتركة بين ما يلاقى الأرض من الإنسان إذا قعد، وبين موضع القعود، وقد وردت تارة فصيحة لقوة القرينة كما فى قوله تعالى: **﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ**

(١) البرهان: ٣/٤٥٤(بتصرف) .
(٢) المثل السائر : ١/١٩٠ .

الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ (١)، بينما وردت قبيحة مستهجنة فى قول الشريف الرضى:

أعْزِزْ عليَّ بأَنْ أرَاكَ وقَدْ خَلا عَن جَانِبيكَ مقاعِدُ العُوادِ

وهذا ما أبان عنه الطوفى بقوله: " فإن "خلا " إضافتها إلى " العواد " قرينة، لكنها ضعيفة، من جهة أن المقاعد أضيفت إلى ما يصح استعمالها فيه بالمعنى المستقبح، بخلاف الآية المذكورة، فإنها مضافة إلى ما لا يصح استعماله فيه بذلك المعنى، وهو القتال، ولو قال الشريف الرضى: مجالس، أو مواطن، عوض " مقاعد " لخلص من هذه المعرة، ولو لم يذكر القرينة فى شعره لكان أمره أخف وأسهل " (٢).

٢. التنكير :

صرح الإمام عبد القاهر بأن التوهيم المعيب قد يكون سببه التنكير، مبينا السبيل للخلاص منه بقوله: " ومما أتى مستكرهاً نابياً يتظلم منه المعنى وينكره، قول أبي تمام:

قَرِيبُ النَّدَى نائِي المَحَلِّ كأنّه هِلالٌ قريبُ النُّورِ ناءٍ مَنازلُهْ

سببُ الاستكراه وأنّ المعنى ينبو عنه، أنه يُوهم بظاهره أن ههنا أهِلَّةً ليس لها هذا الحكم،

أعنى: أنه ينأَى مكانه ويدنو نوره، وذلك محال، فالذى يستقيم عليه الكلام أن يؤتى به معرَّفاً على حدّه في بيت البحتري:

كالبدْرِ أفرط في العُلوِّ وضَوءُه للعُصْبةِ السَّارِين جِدُّ قريب

---

(١) آل عمران :١٢١ .

(٢) الإكسير فى علم التفسير: للطوفى البغدادى: ص ٨٢،٨٣ . تح . د/عبد القادر حسين – الناشر/ مكتبة الآداب – المطبعة النموذجية.

فإن قلت: أَقْطَعُ وأستأنفُ **فأقول:** " كأنه هلال " وأسكتُ، ثم أَبتدئُ وآخذ فى الحديث عن شأن الهلال بقولى: " قريب النور ناءٍ منازله " أمكنك، ولكنك تعلم ما يشكوه إليه المعنى من نبوّ اللفظ به، وسوء ملاءمة العبارة "[1].

٣. التقديم :

قد يكون سبب التوهيم المعيب تقديم الجار والمجرور، فلو قلت: عليك، فقبل أن تقول: سلام، ربما يذهب الوهم إلى اللعنة، فيظن السامع أن المراد: عليك اللعنة؛ لهذا لما أنشد أبو تمام المصراع الأول من قصيدته المشهورة التى امتدح فيها أبا دلف، وهو بحضرة من كان يكرهه، وهو :

*** علَى مِثْلِها من أَرْبُعٍ ومَلاعبِ ***

وكانت فيه حبسة شديدة، عارضه شخص فقال: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فانخزل منه وترك الإنشاد؛ لأن تقديم الخبر فى مثله يوهم الدعاء باللعنة، قال ابن رشيق: " فدهش أبو تمام حتى تبين ذلك عليه، على أنه غير مأخوذ بما قيل، ولا هو مما يدخل عليه عيبا، ولا يلزمه ذنبا على الحقيقة، إلا أن الحوطة والتحفظ من خجلة البادرة أفضل وأهيب، والتفريط أرذل وأخذل " [2].

وقد أطلق ابن أبى الإصبع على هذا النوع اسم **(التوليد)**، وقال معقبا على هذا البيت: " فولد بين الكلامين كلاماً ينافى غرض أبى تمام من وجهين: أحدهما: خروج الكلام من النسيب إلى الهجاء بسبب ما انضم إليه من الدعاء، والثانى: خروج الكلام من أن يكون بيتاً من شعر إلى أن صار قطعة من نثر" [3].

٤. عكس الظاهر :

---

(١) أسرار البلاغة : ص٢٩٠، ٢٩١ .

(٢) العمدة : ٢٢١/١، ٢٢٢ . والبديع فى البديع : ص٤٠٢ .

(٣) تحرير التحبير : ص ٤٩٥ .

أطلق ابن رشيق على هذا اللون اسم **(نفى الشىء بإيجابه)**، وعدّ المعيب من هذا الباب قول كثير يرثي عزة :

فَهَلاَّ وقَاكِ المَوتُ مَنْ أنتِ زيْنُهُ ومَنْ هُو أسْوأُ مِنكِ دَلاًّ وأقْبحُ؟

لأن الشاعر أوهم السامع أن لها دلالاً سيئا، ولكن غيره أسوأ منه وأقبح، فكيف إن كان القبح راجعاً عليها لا على دلها ؟! [١].

٥. الزيادة غير المفيدة :

ينبغي على الشاعِرِ أن يتجنب الزيادة فى الكلام والتى لا حاجة له إليها؛ أو مما يتوهم منها المتلقى معنى يفسد ما قصده من تلك الزيادة، وذلك كما قال الشاعر :

فَما نُطْفَةٌ من مَاءِ نهْضٍ عَذيبةٌ تمنّعُ مِن أيْدى الرُقَاةِ يَرُومُها

بأطيبَ من فيها لو أنّكَ ذُقْتَهُ إذا لَيلةٌ أسْجَتْ وغَارَتْ نُجُومُها[٢]

فقوله: " لو أنك ذقته " زيادة أفسدَ بها المعنى؛ إذ أوهمك أنك إذا لم تذقه لم يكن طيبا [٣].

٦. فساد التقسيم :

يتحقق فساد التقسيم إما بالزيادة وذلك بتكرير ما لا يحتاج إليه، أو بالنقص وذلك بعدم استيفاء جميع أقسام المعنى المراد تفصيله، أو بالتداخل وذلك بتداخل بعض الأقسام فى بعض، وقد يؤدى تكرار بعض الأقسام إلى الوقوع فى الوهم، حيث يتوهم أن هذا القسم المكرر مستقل بذاته غير داخل فى غيره، بينما هو فى الحقيقة داخل فى قسم آخر .

---

(١) العمدة :٢ / ٨٢ .

(٢) أسجت : سكنت .

(٣) نقد الشعر : لقدامة بن جعفر : ص ٢٠٥ ـ تح . د/ محمد عبد المنعم خفاجى . الناشر/ مكتبة الكليات الأزهرية . دار عطوة للطباعة . ط١ . ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

كقول بعض الأعراب: **(النعم ثلاثة: نعمة فى حال كونها، ونعمة ترجى مستقبلة، ونعمة تأتى غير محتسبة، فأبقى الله عليك ما أنت فيه، وحقق ظنك فيما ترتجيه، وتفضل عليك بما لم تحتسبه)**.

قال ابن الأثير: " وهذا القول فاسد؛ فإن فى أقسام النعم التى قسمها نقصا لا بد منه، وزيادة لا حاجة إليها، **فأما النقص** فإغفال النعمة الماضية، **وأما الزيادة** فقوله بعد المستقبلة: ونعمة تأتى غير محتسبة؛ لأن النعمة التى تأتى غير محتسبة داخلة فى قسم النعمة المستقبلة؛ وذاك أن النعمة المستقبلة تنقسم قسمين: أحدهما يرجى حصوله، والآخر لا يحتسب، فقوله: ونعمة تأتى غير محتسبة، يوهم أن هذا القسم غير المستقبل، وهو داخل فيه، وعلى هذا فكان ينبغى له أن يقول النعم ثلاث: نعمة ماضية، ونعمة فى حال كونها، و نعمة تأتى مستقبلة، فأحسن الله آثار النعمة الماضية، وأبقى عليك النعمة التى أنت فيها، ووفر حظك من النعمة التى تستقبلها، ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الصواب ؟ " (١).

وقول الشاعر :

أُبادرُ إهْلاكَ مُستهلكٍ لمَالِى أو عبثَ العابِث

فعبث المعابث داخل فى إهلاك مستهلك، وفصلهما يوهم أنهما قسمين منفصلين.

٧. الابتداءات المستقبحة :

الأديب يحتاج في ابتداء أشعاره، ومفتتح أقواله إلى تحرز فيه، فلا يستفتح بكلام يتطير منه، أو بلفظ محتمل، لا سيما في مشافهة الخلفاء والملوك، حتى وإن كان مخاطبه يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح .

ومما أورده ابن رشيق فى كتابه (العمدة) أن ذا الرّمة دخل على عبد الملك بن مروان، فاستنشده شيئاً من شعره، فأنشده قصيدة افتتحها بقوله:

(١) المثل السائر : ٢ / ٢٨٨،٢٨٩ .

ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنْسَكِبُ كَأَنّه من كُلَى مَفْرِيّةٍ سَرِبُ

وكانت بعين عبد الملك ريشة وهى تدمع أبداً، فتوهم أنه خاطبه أو عرّض به، فقال: وما سؤالك عن هذا يا جاهل ؟! فمقته وأمر بإخراجه.

وكذلك فعل ابنه هشام بأبى النجم وقد أنشده فى أرجوزة :

والشَّمسُ قَد كَادَتْ ولما تَفْعَلِ كأنَّها في الأُفقِ عَينُ الأحْوَلِ

وكان هشام أحول، فأمر به فحجب عنه مدة، وقد كان قبل ذلك من خاصته، يسمر عنده، ويمازحه [1].

لذا يقول ابن رشيق: " والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين، فيقصد محابهم، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته، ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره، ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً ذكر فيه: " لو خلد أحد بكرم لكنت مخلداً بكرمك " وقال كلاما نحو هذا، فقال الملك: إن الموت حق، وإن لنا منه نصيبا، غير أن الملوك تكره ذكر ما ينكد عيشها، وينغص لذتها، فلا تأتنا بشىء مما نكره ذكره " [2].

** ** **

سابعا : وسائل رفع الإيهام :

تعمل البلاغة جاهدة على رفع الالتباس والتوهيم بوسائل متعددة؛ كى يصل المعنى واضحا جليا الى ذهن المتلقى، حتى يحدث التواصل والتفاعل بين الأديب ونتاجه وبين متلقى هذا النتاج، ومن ثَمَّ يستطيع أن يصل الأديب إلى بغيته، إما إلى المشاركة الوجدانية من جانب المتلقى، فينفعل حينما ينفعل الأديب، ويهدأ كلما هدأ، وإما أن يصل إلى التأثير على ممدوحه حتى يغدق له العطاء الجزيل، أو يصل إلى شغاف قلب محبوبته لعلها ترق لحاله فيحدث من ثَم الموصال. .إلخ. أما هذا النوع من التوهيم فيقف حائلا دون ذلك؛ لأنه

(١) العمدة : ١ / ٢٢٢ .
(٢) المصدر السابق : ١ /٢٢٣ .

يصرف ذهن السامع إلى وجهة أخرى، حيث يصرفه إلى معنى آخر لا يقصده الأديب، أو يقف إزاء ما يلقى عليه موقف الشاك المتردد حول ما يقصده، حتى وإن توصل بعد ذلك إلى مراد الشاعر فإنما يكون بعد لَأْى، فيفوت التأثير المطلوب؛ لأن حلقة التواصل بين الأديب وسامعيه قد فقدت، ومن هذه الوسائل التى يلجأ إليها الأديب لرفع هذا التوهيم:

١. وجود القرائن القوية :

ويتجلى هذا فى كل كلمة مشتركة بين معنيين، أحدهما يقبح ذكره، فإذا وردت وهى غير مقصود بها ذلك المعنى، فلا بد حينئذ من وجود قرينة قوية تميز معناها عن القبح، ولو وردت مهملة بغير قرينة وأريد بها المعنى الحسن لسبق إلى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى القبيح ٠

مثال ذلك: لو قال قائل: لقيت فلاناً فعزرته، لسبق إلى الوهم أنه ضربه وأهانه، ولو قال : لقيت فلاناً فأكرمته وعزرته، لزال ذلك اللبس٠

وكقوله . تعالد: **﴿فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**(١)، قال ابن الأثير : " ألا ترى أن لفظة التعزير مشتركة تطلق على التعظيم والإكرام وعلى الضرب الذى هو دون الحد، وذلك نوع من الهوان، وهما معنيان ضدان، فحيث وردت في هذه الآية جاء معها قرائن من قبلها ومن بعدها فخصت معناها بالحسن ، وميزته عن القبيح، ولو وردت مهملة بغير قرينة وأريد بها المعنى الحسن لسبق إلى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى القبيح " (٢)٠

٢. التوكيد :

قد تتعدد صور التوهيم فيلجأ المتكلم لدفعه عن ذهن المتلقى إلى التوكيد، وهذا التوكيد له طرق متعددة منها :

---

(١) الأعراف : ١٥٧٠

(٢) المثل السائر: ١/١٨٨ ٠

(أ) **التوكيد باللفظ المفرد:** وذلك على النحو التالى: **الأولى:** توهم التجوز، أى: توهم المتلقى بأن المتكلم قد تجوز فى كلامه، فتكلم بالمسند إليه على جهة المجاز، فيؤكد المسند إليه إما توكيدا **لفظيا أو معنويا** لدفع هذا التوهم. فيقول: قطع اللصَ الأميرُ الأميرُ أو نفسه أو عينه؛ فأكد لئلا يتوهم أن المراد بالأمير بعض غلمانه على سبيل الاستعارة، أو لئلا يتوهم أن إسناد القطع إلى الأمير مجازعقلى، وإنما القاطع بعض غلمانه، ولا شك أن دفع توهم التجوز فى المسند إليه مما يقرر معناه حتى لا يظن به غيره [1].

الثانية: توهم السهو، وذلك بأن يخشى المتكلم أن يعتقد المتلقى أنه إنما ذكر المسند إليه سهوا،وأن صاحب الحكم غيره، فيؤكد المسند إليه توكيدا **لفظيا** لدفع هذا التوهم .فيقول: جاءنى زيد زيد؛ لدفع توهم المتلقى أن الجائى غير زيد، وإنما ذكر " زيد " على سبيل السهو[2].

الثالثة: توهم عدم الشمول، أى: إما توهم عدم شمول المسند إليه فى نفس الأمر لجميع الأفراد، فيؤكد المسند إليه بكل وأجمعين وما فى معناهما لدفع هذا التوهم .فإذا قلت: جاء القوم، فلفظ " القوم " وإن كان أصله الدلالة على العموم فيحتمل أن يكون من قبيل إطلاق الكل على البعض، وذلك بأن أطلقت " القوم " على المعتبرين منهم، لحصول المجىء منهم، وأنَّ من لم يصدر منه المجىء لم تعتد بهم، فهم فى حكم العدم، فيُدفع هذا التوهم بالتوكيد، وذلك بأن يقال: جاء القوم كلهم أو أجمعون.

وإما توهم أن الحكم فى نفس الأمر لم يشمل الكل، نحو: قتل بنو فلان فلانا، فيمكن أن يتوهم المتلقى أن القتل أسند الى الكل على سبيل التجوز فى الإسناد، وذلك بجعل الفعل الواقع من البعض كالواقع من الكل؛ لرضاهم به وموافقتهم عليه وتعصبهم فيه، فكأنه صدر من الكل؛ إذ هم فى حكم شخص واحد، فيدفع ذلك التوهم بالتوكيد بأن يقال: قتل بنو فلان كلهم فلانا، ومن

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص :١/٣٧٠ .
(٢) المصدر السابق :١/٣٧٠،٣٧١ .

الملاحظ أن دفع توهم عدم الشمول لا يخلو من دفع توهم التجوز، لكن لما كان الغرض نفس دفع توهم عدم الشمول لا التجوز. ذكر للتنصيص على أعيان المسائل فى قصد البليغ[1].

(ب) التوكيد بالجملة : وهذه الصورة تُعَد من صور **(كمال الاتصال)**، والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط . ويأتى على قسمين:

أحدهما: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التوكيد المعنوى من متبوعه فى إفادة التقرير مع الاختلاف فى المعنى، كقوله . تعالد: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾**[2]، فإنه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه النهاية فبالرفعة وعلو الدرجة، والكمال فى الهداية، حتى كأن غيره بالنسبة إليه ليس كتابا، جاز بسبب هذه المبالغة أن يتوهم السامع قبل التأمل فى حال الكتاب أن قوله: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾** المفيد المبالغة فى المدح من الكلام الذى يرمى به جزافا، من غير تحقق؛ لأن المبالغ فى مدحه . كما جرت به العادة . لا يكون جاريا على ظاهره، بل يخرج على خلاف مقتضى ظاهره؛ إذ لا تخلو المبالغة . غالبا . من تجوز وتساهل؛ لذا فأُتبِع بقوله: **﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾** لينتفى بنفى الريب نفى ذلك التوهم، وهذا كإتباع الخليفة " نفسه " في قولك: جاءني الخليفة نفسه؛ إزالة لما عسى أن يتوهم السامع أنك فى قولك: جاءنى الخليفة متجوز أو ساه.

والآخر: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى. كقوله . تعالى .: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾**[3] فإن قوله: **﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾** معناه: أنه بالغ فى الهداية درجة لا يدرك كنهها، حتى كأنه هداية محضة، وهذا هو معنى قوله: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾**؛ لأن معناه الكتاب

(١) المصدر السابق :١/٣٧١،٣٧٢ .
(٢) البقرة : ٢ .
(٣) البقرة : ٢ .

الكامل فى الهداية، فوزان ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ وزان لفظ " زيد " الثانى فى قولك: جاء زيد زيد، فى اتحاد المعنى؛ لدفع توهم الغلط والسهو [1].

(ج، د) التوكيد بالإجمال بعد التفصيل، وبالصفة أيضا، وقد اجتمعا معا فى قوله . تعالى .: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[2]، فقد أعاد العدد " عشرة " وإن كان من معلوما من الثلاثة والسبعة؛ لرفع صور عديدة من التوهم والتى قد ترد على خاطر المتلقى، ومن هذه الصور:

قيل: لإزالة توهم الإباحة كما فى نحو قولنا: جالس الحسن وابن سيرين، وقوله: ﴿كَامِلَةٌ ﴾ تأكيد آخر، وقيل: أريد به تأكيد الكيفية لا الكمية، حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور لم تكن كاملة [3].

وقيل: أنه قصد رفع ما قد يهجس في النفوس من أن المتمتع إنما عليه صوم سبعة أيام لا أكثر، ثلاثة منها في الحج، ويكمل سبعا إذا رجع.

وقيل: إن قاعدة الشريعة أن الجنسين فى الكفارة لا يجب على المُكَفِّر الجمع بينهما، فلا يلزم . مثلا . الحالف أن يطعم المساكين ويكسوهم، فلما اختلف محل هذين الصومين فكانت ثلاثة فى الحج وسبعة إذا رجع، صارا باختلاف المحلين كالجنسين، والجنسان لا يجمع بينهما، وأفادت هذه الزيادة وهى قوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ رفع ما قد يهجس في النفوس من أنه إنما عليه أحد النوعين إما الثلاثة وإما السبعة .

وقيل: إن لفظ السبع قد يذكر والمراد به الكثرة لا العدد، وإذا كان كذلك فاحتمل أن يتوهم المتلقى أن المراد بالسبع ما هو أكثر من السبع، ولفظها معطوف على الثلاثة بآلة الجمع، فيفضى إلى الزيادة فى الكفارة على العدد المشروع، فيجب حينئذ رفع هذا الاحتمال بذكر الفذلكة .

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: ٣/٧ ٣، ٣٨ .

(٢) البقرة : ١٩٦ .

(٣) الإيضاح : ص١٩٨،١٩٧ .

وقيل: إن الثلاثة لما عطف عليها السبعة احتمل أن يأتى بعدها ثلاثة أو غيرها من الأعداد، فقيد بالعشرة ليعلم أن المراد كَمُل، وقَطْع الزيادة المفضية للتسلسل .

وقيل: إن السبعة المذكورة عقب الثلاثة يحتمل أن تكون الثلاثة داخله فيها،كما فى قوله: ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**﴾ (١) أى: مع اليومين اللذين خلق الأرض فيها، وهذا كما يقول الفصيح: " سرت من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام "، و" سرت إلى الكوفة فى ثلاثة عشر يوما "، ولا يريد سوى العشرة، بل يريد مع العشرة ثلاثة، فجاء التقييد بالعشرة لرفع توهم التداخل .(٢)

٣. التنكير :

قد يعدل عن التعريف إلى التنكير، لأن التعريف يُتوهم منه معنى خاص، بينما المراد الدلالة على معنى أعم وأشمل، ومنه قوله . تعالى .:﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ**﴾(٣) فلقد أبدع التعبير القرآنى حين نكَّر كلمة: ﴿إِصْلَاحٌ﴾ دون التعريف بالإضافة، إذ لم يقل: إصلاحهم؛ لئلا يتوهم قصره على إصلاح ذواتهم فقط؛ لأن أصل إضافة المصدر أن تكون لذات الفاعل أو ذات المفعول.، فلا تكون على معنى المحرف.؛ ولأن الإضافة لما كانت من طرق التعريف، كانت ظاهرة فى عهد المضاف، لذا عدل عنها لئلا يتوهم أن المراد إصلاح معين، وإنما المقصود هنا جميع الإصلاح لا خصوص إصلاح ذواتهم، فيشمل إصلاح ذواتهم، وهو فى الدرجة الأولى، ويتضمن ذلك إصلاح عقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح والآداب الإسلامية. ويتضمن إصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض وبمداواتهم، ودفع الأضرار

(١) فصلت : ١٠ .
(٢) البرهان : ٢/ ٤٨٧: ٤٨١ .
(٣) البقرة :٢٢٠ .

عنهم بكفاية مؤنهم من الطعام واللباس والمسكن، وذلك بحسب معتاد أمثالهم دون تقتير ولا سرف، ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدها وحفظها٠

ولو قيل: " قل تدبيرهم خير " لتبادر إلى الذهن تدبير المال، فاحتيج فى دلالتها على إصلاح ذواتهم إلى فحوى الخطاب[١] ٠

٤. التقديم والتأخير :

من صور التقديم التى أفادت منع توهم المتلقى خلاف المراد؛ إذ التأخير فيه إخلال بالمعنى:

(أ) أن يأتى التقديم بغرض التنبيه من أول الأمر على أن المقدم خبر وليس نعتا، ففى قوله . تعالى:**﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** [٢]، فتقديم الجار والمجرور " لكم " دل على أنه خبر لقوله: " مستقر "، ولو تأخر فقيل:" ومستقر لكم فى الأرض "؛ لتوهم متوهم أنه وصف لمستقر، وقوله: " فى الأرض. " هو الخبر؛ إذ تحتاج المنكرة إلى الوصف؛ ليكون مسوغا للابتداء بها، لهذا ورد التقديم لإزالة هذا التوهم٠

(ب) أن يأتى التقديم ليمنع المتلقى من الإنكار، أو من أن يُظن بالمتكلم الغلط أو التزيد، فيقدم المتكلم الفاعل على الفعل والقصد أن يحقق على السامع أنه قد فعل، ويمكِّن ذلك فى نفسه، ويمنعه من الشك والتوهم، لذا فقد ابتدأ بذكر الفاعل وأوقعه أولاً، قبل أن يذكر الفعل
فى نفسه، كقول الشاعر :

هُمُ يُفرِشُون اللّبدَ كلَّ طِمِرَّةٍ وأجْردَ سَبَّاحٍ يَبُذُّ المُغَالِيا[٣]

قال الإمام عبد القاهر: **"** لم يرد أن يدعى لهم هذه الصفة دعوى مَن يفردهم بها، وينص عليهم فيها، حتى كأنه يُعرِّض بقوم آخرين، فينفى أن يكونوا

(١) التحرير والتنوير:٢/٣٥٦ ٠
(٢) الأعراف : ٢٤ ٠
(٣) الطمرة : الفرس الكثيرة الجري، الأجرد: الفرس القصير الشعر، يبذ: يغلب، المغالي: السهم٠

أصحابها، هذا محال! وإنما أراد: أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل، وأنهم يقتعدون الجياد منها، وأن ذلك دأبهم، من غير أن يعرض لنفيه عن غيرهم، إلا أنه بدأ بذكرهم؛ لينبه السامع لهم، ويعلم بدياً قصده إليهم بما فى نفسه من الصفة؛ ليمنعه بذلك من الشك، ومن توهم أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هى لهم، أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط إليهم "[1].

(ج) أن يكون تعلق أحد المعمولات بالفعل موهما خلاف المراد، فيقدم المعمول حتى لا يختل المعنى، كقوله . تعالى:﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ**﴾[2]، فقد وصف القرآن الرجل بثلاث صفات: الإيمان، وكونه من آل فرعون، وكتمانه إيمانه، وقدَّم﴿**مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ**﴾ على قوله: ﴿**يَكْتُمُ إِيمَانَهُ**﴾؛ لأنه لو أُخر فقيل: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، لتوهم أنه متعلق بالفعل " يكتم "، وأن الرجل كان يكتم إيمانه خوفا من آل فرعون، وفيه إخلال بالمعنى المراد؛ إذ لا يفهم منه عندئذ أن الرجل كان من آل فرعون، وبذلك يفوت الغرض من الآيات، إذ المراد إبراز عناية الله ورعايته لموسى بأن جعل من آل فرعون مَنْ يدافع عنه، ويجادلهم فيه [3].

(د) أن يأتى التقديم ليمنع التوهيم الحاصل بطول الصلة وما عطف عليها، كقوله . تعالى .: ﴿ **وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ [4]، فقد قدم الجار والمجرور ﴿**مِنْ قَوْمِهِ**﴾ على صفة الملأ وهى ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا ٠٠**﴾؛ لأنه لو أخر فقيل: " وقال الملأ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا من قومه " لتوهم أنه من صلة الدنيا. فيصبح المعنى حينئذ: ولأترفناهم فى

(١) دلائل الإعجاز : ص ١١١ ٠

(٢) غافر : ٢٨ ٠

(٣) علم المعانى : د/ بسيونى عبد الفتاح فيود : ٢٢٠/١ (بتصرف) ـ مؤسسة المختار . ط١ .١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م٠

(٤) المؤمنون : ٣٣ ٠

الحياة الدنيا من قومه، أى: القريبة منهم، وبهذا يكون القائلون ليسوا من قومه، فدفعا لهذا التوهم قدم الجار والمجرور، خلافا لقوله تعالى : ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ (١)، فليس فيها ما يوهم خلاف المراد، فلم تطل الصفة بالصلة كما فى الآية الأولى؛ لذا تأخر الجار والمجرور ولم يُقدم على الصفة (٢).

٥. وضع الظاهر موضع المضمر:

يوضع الظاهر موضع المضمر لإزالة اللبس؛ لأن العبارة بالضمير توهم غير المراد، وذلك كقوله . تعالى . : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ (٣) فلو قال: " تؤتيه" لأوهم أن الضمير عائد على المُلْك الأول، لكن الملك الأول حقيقى عام، إذ هو صفة قائمة بذاته متعلقة بالغير تعلق التصرف التام المقتضى استغناء المتصرف وافتقار المتصرف فيه، ولهذا لم يصح على الإطلاق إلا لله . تعالى وحده، بينما المُلْك الآخر مجازى خاص فهو بعض من الكل، ومنهم من حمل " المُلْك " الثانى على معنى النبوة (٤).

وكذا قوله . تعالى .: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ (٥) كرر السوء؛ لأنه لو قال: " عليهم دائرته " لالتبس بأن يكون الضمير عائدا إلى الله تعالى (٦) .

٦. الالتفات :

(١) المؤمنون : ٢٤ .
(٢) علم المعانى : د/ بسيونى عبد الفتاح فيود : ٢٢٠/١ (بتصرف).
(٣) آل عمران : ٢٦ .
(٤) ينظر : البرهان : ٢ / ٤٨٨، والكشاف : ١/ ٣٠٨، وروح المعانى : ٣ /١١٤ .
(٥) الفتح : ٦ .
(٦) البرهان : ٢ / ٤٨٨، ٤٨٩ .

الالتفات عند جمهور البلاغيين: هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم، الخطاب، الغيبة) بعد التعبير عنه بطريق آخر منها(١).

ومما ورد فيه الالتفات لدفع توهم غير المقصود قوله . تعالى .: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٢)، ففيه التفات من الخطاب فى قوله : ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ إلى التكلم فى قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾، وكان مقتضى السياق أن يقال: " إن ربكم" ، لكنه أضاف الرب إلى ضمير المتكلم؛ لدفع ما عسى أن يقع فى وهم المخاطبين لما طلب منهم شعيب عليه السلام أن يستغفروا ربهم من عبادة الأوثان، وهو أن يتوهموا أن المقصود بقوله: " ربكم " هى الأوثان التى يعبدونها، فالتفت إلى التكلم؛ ليبين لهم أن المقصود بالرب هو الله الواحد الأحد، المتصف بصفات الكمال والجلال(٣).

٧. الحذف :

الفعل المتعدى قد يحذف مفعوله؛ لأن الغرض من وراء حذفه هو مجرد إسناد الفعل إلى فاعله فى الكلام المثبت، أو نفيه عنه فى الكلام المنفى، من غير اعتبار تعلقه بمن وقع عليه (المفعول)، فيُنزّل الفعل المتعدى حينئذ منزلة اللازم؛ فلا يذكر له مفعول؛ لئلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول، ولا يُقدَّر هذا المفعول أيضا؛ لأن المقدر فى حكم المذكور .

والفرق بين تعلق الفعل بالمفعول وعدم اعتبار تعلقه: أنك إذا قلت: فلان يعطى الدنانير، كان غرضك بيان جنس ما يتناوله الإعطاء، ويكون كلامك مع مَنْ سلم وجود ا.لإعطاء ولكنه جهل تعلقه بالدنانير، فتردد. فيه أ.و غفل، أو ا.عتقد خلافه. أما إذا. قلت: فلان. يعطى. كان. كلاما مع من جهل وجود الإعطاء أو أنكره أصالة (٤).

---

(١) الإيضاح : ص٧٢ .

(٢) هود : ٩٠ .

(٣) علم المعانى : د/ بسيونى عبد الفتاح فيود : ٢٣٤/١ (بتصرف).

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص : ١٢٢/٢ .

ومما ورد هذا المورد على رأى الإمام عبد القاهر قول عمرو بن معدي كرب :

فلو أَنَّ قَوْمِى أَنْطَقَتْنِي رِماحُهُمْ نَطَقْتُ ولكِنَّ الرِّماحَ أَجَرَّتِ

فقد قال: **" أجرت:** فعل متعد، ومعلوم أنه لو عداه لما عداه إلا إلى ضمير المتكلم نحو: ولكن الرماح أجرتنى٠٠٠إلا أنك تجد المعنى يُلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول، ولا تخرجه إلى لفظك، **والسبب فى ذلك:** أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض، وذلك أن الغرض هو أن تثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس الألسن عن النطق، وأن تصحح وجود ذلك، ولو قال: " أجرتنى " جاز أن يتوهم أنه لم يعن بأن يثبت للرماح إجرارا، بل الذى عناه أن يبين أنها أجرته، فقد يذكر الفعل كثيرا والغرض منه ذكر المفعول٠٠فلما كان فى تعدية " أجرت " ما يوهم ذلك وقف فلم يُعَد البتة، ولم ينطق بالمفعول؛ لتخلص العناية لإثبات الإجرار للرماح، وتصحيح أنه كان منها، وتسلم بكليتها لذلك **"** [1].

وقد يحذف المفعول . أيضا . ليتصور المتلقى المعنى من أول الأمر، حتى لا يتطرق إلى وهمه معنى آخر غير مراد ابتداءً، كقول البحترى :

وَكَمْ ذُدْتَ عَنِّي مِنْ تَحامُلِ حَادِثٍ وَسَوْرَةِ أيّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ

حذف المفعول إذ الأصل: حززن اللحم؛ لأنه لو ذكر لربما توهم السامع أولا قبل ذكر ما بعده أن المقصود الإخبار بأن الحز كان فى بعض اللحم، وأنه قطع مما يلى الجلد دون انتهائه إلى العظم؛ لذا ترك المفعول دفعاً لهذا الوهم، حتى يتصور السامع المعنى من أول الأمر، وهو أن الحز قد مضى فى اللحم حتى لم يرده إلا العظم، وهذا أبلغ فى بيان إحسان الممدوح للشاعر؛ لأنه أراد

(٢) دلائل الإعجاز: ص ١٢٩، ١٣٠ ٠رأى الخطيب لقزوينى أن الفعل (أجرت)عند إسناده إلى الفاعل . ضمير الرماح . دون تعلق بمفعول مخصوص، قد جُعل كناية عن تعلقه بذلك عن تعلقه بذلك الفعل المخصوص؛ قصدا إلى المبالغة ٠ ينظر: الإيضاح : ص١٠٤، ١٠٥ ٠

أن يبين لنا أن الممدوح كثيرا ما دفع عنه من عوادى الزمن وشدة الأيام وصولتها ما بلغ في الشدة النهاية وفي الصعوبة الغاية ٠

٨. العدول عن المطابقة اللفظية بين السؤال والجواب:

المطابقة اللفظية بين السؤال والجواب هى الأصل، فيأتى الجواب جملة اسمية أو فعلية تبعا لجملة السؤال، لكنه قد يُعدل عن تلك المطابقة لدفع إيهام معنى غير مناسب للمقام، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾(١)، والتقدير: خلقهن الله، " **فإن قلت:** يلزم على كون المذكور فى هذه الآية فاعلا عدم المطابقة بين السؤال والجواب؛ لأن السؤال جملة اسمية والجواب جملة فعلية، والأولى المطابقة، والعدول إلى تركها يحتاج إلى نكتة، **قلت:** أجابوا عن ذلك بأن النكتة فى ترك المطابقة: أن فى رعاية المطابقة إيهام قصد التقوية، وهو لا يليق بالمقام؛ لأن التقوية شأن ما يشك فيه أو ينكر، واعتبار ذلك هنا غير مناسب للمقام؛ لأن المقام مقام تشنيع بالكفار، حيث عبدوا غيره ـ تعالى ـ مع اعترافهم بأنه الخالق للسموات والأرض " (٢)٠

وكذا يعدل عن المطابقة اللفظية لدفع الالتباس وإيهام قلب المعنى المقصود، فقد ذهب جمهور البلاغيين إلى أنه يقدم ويحكم على ما يتصور أن السائل طالب للحكم عليه، فمثلا: إذا عرفت أن إنسانا قد تاب، ولا تعرفه على التعيين، فقلت: مَنْ التائب؟ فأنت تطلب من المجيب أن يعين التائب عندك، وذلك بأن يحكم عليه بأنه زيد أو عمرو أو غيرهما، فيقول لك فى الجواب: التائب زيد، ولا يصح بلاغيا أن يقول: زيد التائب؛ لأنه لو تقدم الخبر على المبتدأ لأوهم قلب المعنى المقصود، فالمعلوم عند المخاطب يجب أن يكون مبتدأ، والمجهول خبرا، ولهذا السبب انتقد العلامة التفتازانى كلام الزمخشرى بقوله: " وبهذا يظهر أن ما ذكره صاحب الكشاف فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَأُولَئِكَ**

(١) لقمان : ٢٥ ٠

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص : ١٤/٢ ٠

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [1]، أنه إذا بلغك أن إنسانا من أهل بلدك تاب، ثم استخبرت: مَنْ هو؟ فقيل: زيد التائب . محل نظر " [2].

٩. التعبير بالإنشاء فى موضع الخبر:

قد يقع الإنشاء فى موقع الخبر للاحتراز عن توهم مساواة اللاحق بالسابق، كقوله . تعالى .: ﴿**قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ [3] فالمعنى: إنى أشهد الله وأشهدكم، لكنه عدل إلى صيغة الأمر فى قوله: ﴿**وَاشْهَدُوا**﴾؛ احترازا عن مساواة شهادة قوم عاد بشهادة الله ﷻ[4].

١٠ . الفصل والوصل :

يفصل الأديب تارة بين الجمل فيترك العطف بينها، ويصل تارة أخرى بينها بحرف العطف، فيعطف بعضها على بعض؛ حتى تكون كل واحدة منها دالة على غرضه، بارة بمقصده، ولولا هذا لانعكس غرضه، وتبدل مراده ٠

ويتحقق الفصل فيما أسماه البلاغيون **(شبه كمال لانقطاع)** : وهو أن تُسبق جملة بجملتين، يصح عطفها على الأولى، إلا أنه يوهم عطفها على الثانية؛ نظرا لقربها من الثالثة، فيترك ذلك العطف لإيهامه معنى غير مراد٠ كقول الشاعر:

وتَظُنُّ سَلمى أننى أبغي بها بَدَلاً أراها فى الضَّلالِ تهيمُ

فبين الجملة الأولى: " وتَظُنُّ سَلمى " والجملة الثالثة: " أراها في الضلال " مناسبة ظاهرة؛ لاتحادهما فى المسند؛ إذ معنى " أراها " أظنها، والمسند إليه في الأولى محبوب وفي الثالثة محب، لكنه ترك عطف " أراها " على " تظن "؛ لئلا يتوهم أنها قد عطفت على " أبغى "؛ لقربها منها، فيفسد المعنى المراد؛ إذ المعنى سيصير حينئذ: أن سلمى تظننى موصوفا بوصفين: أحدهما: تظن

(١) البقرة : ٥ ٠
(٢) المطول : ص ١٧٧ ٠
(٣) هود : ٥٤ ٠
(٤) علم المعانى : د/ بسيونى فيود : ٢/ ١٢٩ (بتصرف) ٠

أننى أبغى بها بدلا، والآخر: تظن أننى أراها تهيم فى الضلال، وليس هذا هو مراد الشاعر؛ لأن الجملة الثالثة ليست من مظنونات سلمى، بل هى رد من جانب الشاعر والحكم على سلمى بأنها قد أخطأت فى ظنها بأننى أبغى بها بدلا ٠

أما الوصل فيتمثل فيما يسمى (**كمال الانقطاع مع الإيهام**): وهو أن تختلف الجملتان،
خبرا وإنشاء، معنى فقط، إلا أن فصل الثانية منهما عن الأولى يؤدى إلى خلاف المعنى المقصود، فتتوسط بينهما الواو؛ لدفع هذا الإيهام٠

مثال ذلك: مر رجل على أبى بكر ﷺ ومعه ثوب، فقال له أبو بكر: أتبيعه ؟ فقال : **لا، يرحمك الله**، فقال أبو بكر: قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون، هلا قلت: **لا ويرحمك الله ؟!** فقول الرجل : " لا " رد على ما تضمنه السؤال، أى : لا، لن أبيع هذا الثوب، فهذه جملة خبرية لفظا ومعنى، وجملة " يرحمك الله " إنشائية معنى؛ إذ هى دعاء بالرحمة لأبى بكر، فبينهما كمال انقطاع، لكن طرح الواو يوهم السامع أنه دعا عليه بعدم الرحمة؛ لذا وجب الوصل، فتعطف الثانية على الأولى بالواو؛ دفعا لهذا الإيهام ٠
وقد أعجب النقاد بهذه الواو أيما إعجاب، فهذا هو الصاحب بن عباد كان يقول: " هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ فى خدود المرد الملاح " [1]٠

١١. الاحتراس :

الاحتراس ويسمى . أيضا . التكميل : هو أن يُؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه[2]٠

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص : ٦٨/٣ ٠
(١) الإيضاح : ص١٩٢ ٠

وتسمية هذا اللون قائمة على التوقى والاحترازعن توهم خلاف المقصود، قال العلامة الدسوقى كاشفا عن وجه تسميته بهذا الاسم: " أما وجه تسميته بالتكميل فلتكميله المعنى بدفع إيهام خلاف المقصود عنه، وأما وجه تسميته بالاحتراس فلأن حرس الشيء: حفظه، وهذا النوع فيه حفظ للمعنى، ووقاية له من توهم خلاف المقصود " (١).

والدافع لإيهام خلاف المقصود قد يكون فى وسط الكلام، كقول جرير:

فَسَقَاكِ حيثُ حلَلتِ غيرَ فقَيدةٍ هَزِجُ الرواحِ وديمةٌ لا تُقلعُ

قال ابن رشيق: " فقوله: (غير فقيدة) تتميم لما أراد من دنوها وسقياها غير راحلة ولا ميتة؛ إذ كانت العادة أن يدعى للغائب الميت بالسقى؛ فاحترس من ذلك " (٢).

وقد يرد الدافع لإيهام خلاف المقصود فى آخر الكلام، كقوله تعالى . فى مدح فريق من المؤمنين، وهم قوم أبى موسى الأشعرى ﷺ .: **﴿فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِين﴾** (٣)، فقد وصفهم بموالاتهم للمؤمنين، ومعاملتهم بما يرضيهم، وخفض أجنحتهم لهم، لكن لما كان النظر إلى ظاهر لفظ الذل من غير مراعاة قرينة المدح مما يوهم أن يكون ذلك الوصف لضعفهم وانتفاء قوتهم، أو نظرا إلى أن من شأن المتذلل أن يكون ضعيفا، فدفع ذلك التوهم بقوله: **﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِين﴾** فأفاد لهم القوة والعزة، وبيّن أن تذللهم للمؤمنين ليس عن ضعف وعدم قوة، بل عن تواضع منهم للمؤمنين.

١٢. التكرير :

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص : ٢٣١/٣ .
(٣) العمدة : ٥١/٢ .
(٤) المائدة :٥٤ .

ومنه قوله . تعالى .: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (١) **قيل:** الفائدة فى تكرير " إياك " " إنه لو اقتصرعلى واحد ربما توهم أنه لا يتقرب إلى الله . تعالى . إلا بالجمع بينهما والواقع خلافه" (٢).

وقيل: " إنما كررت لارتفاع أن يتوهم إذا حذفت، أن مفعول " نستعين " ضمير متصل واقع بعد الفعل، فتفوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود بتقديم المعمول على عامله" (٣).

لكن العلامة الزركشى لا يعد ذكر " إياك " الثانية من قبيل التكرير؛ لأنه جاء على الأصل، فتراه يقول: " والتحقيق أن السؤال غير متجه؛ لأن هنا عاملين متغايرين، كل منهما يقتضى معمولا، فإذا ذكر معمول كل واحد منهما بعده فقد جاء الكلام على أصله، والحذف خلاف الأصل، فلا وجه للسؤال عن سبب ذكر ما الأصل ذكره، ولا حاجة الى تكلف الجواب عنه"(٤).

١٣. المجاز :

ومما ورد فيه المجاز لدفع معنى قد يتوهمه المتلقى ولكنه يتعارض مع مراد المتكلم : قوله . تعالى .: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾(٥)، حيث أطلق المسبب وهو الرزق، وأريد السبب وهو الغيث، وفى هذا التعبير المجازى فيه بيان لفضل الله ﷻ على الناس حين أمدهم بما تتمناه نفوسهم، وبيان أنه الفاعل لكل شىء، المختار الذى لا مكره له فى خلق النبات، ونفى ما قد يتوهمه البعض من أن الماء علة طبيعية، أما لو ورد التعبير بقولنا: " ينزل لكم

(١) الفاتحة : ٥ .
(٢) روح المعانى : ١/٩٠ .
(٣) البرهان : ٣/ ١١ .
(٤) المصدر السابق : ٣/ ١١ .
(٥) غافر : ١٣ .

من السماء ماء يكون به الرزق " لتوهم أن الماء هو العلة الفاعلة للرزق، لا أن الفاعل الحقيقى هو الله ﷻ (١).

١٤. التفويف :

التفويف فى مصطلح علماء البيان هو" ما يدل على معنى آخر بقرينة أخرى " (٢).

ثم ذكر ضابط الضرب الأول منه العائد إلى المعنى قائلا: " هو أن تصف الممدوح بما يدل على مدحه من صفات المكارم وسمات المحامد، ثم تورد صفات دالة على ذمه، لكن اقترن بها ما يرشد إلى كونها مدحا " (٣).

وهو كقول جرير :

هُم الأخيار مَنْسَكةً وهَدْياً وفى الهَيْجَا كأنهم صقورُ
بِهِم حَدِبَ الكِرامُ على المَعَالِى وفيهم عن مساءَتِهم فُتورُ
خَلائقُ بعضُهم فيها كبعضٍ يؤمُّ صَغيرَهم فيها الكَبيرُ
عن النَّكْرَاءِ كلُّهم غَبىٌّ وبالمَعْروفِ كُلُّهم بَصيرُ

فقد وصف جرير ممدوحيه ببعض المصفات الدالة على ذمه فى قوله: " كأنهم صقور "، "وفيهم عن مساويهم فتور "، " يؤم صغيرهم فيها الكبيرُ "، " عن النكراء كلهم غبى "، لكن اقترن بها من صفات المكارم وسمات المحامد، ما يرشد إلى كونها مدحا، وهذا ما فصله العلوى فى تعقيبه على قول جرير، فقال: " فكل واحد من هذه الأبيات قد تضمن ما يرشد إلى الذم، لكنه اقترن به ما أخرجه إلى المدح، فقوله: " **كأنهم صقور** " صفة ذم؛ لأن من شأن الصقور الخطف والبغى، لكنه لما اقترن بقوله: " الهيجا " كان مدحا؛ لأن الإنسان إذا كان فى الحرب كالصقر يغلب غيره ويسلبه، فهو مدح لا محالة، وهكذا قوله: "

---

(١) نظرات فى البيان : د/ محمد عبد الرحمن الكردى: ص ٢٢٣، ٢٢٤ (بتصرف) ـ مطبعة السعادة . ط٣ . ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. .

(٢) الطراز : ص ٤٤١.

(٣) المصدر السابق : ص ١٤٤ .

وفيهم عن مساويهم فتور "؛ لأن الفتور هو الضعف والعجز، وهما ذمان، خلا أنه اقترن بقولهم: " بهم حدب الكرام على المعالى " فصيره مدحا؛ لأن الإنسان إذا كان عظيم المولوع بالخصال السامية، والمراتب المعالية، وكان ضعيفا متكاسلا عن المساوئ، ففيه نهاية المدح، وهكذا قوله: " **يؤم كبيرهم فيها الصغير** " فإنه يكون ذما؛ لأنه لا خير فى الكبير إذا كان مقتديا بالصغير، وإنما المدح هو عكسه، لكنه لما اقترن بقوله: " خلائق بعضهم فيها كبعض " أفهم أن الصغير والكبير فيهم سواء فى فعل المعروف والإحسان، وهكذا قوله: " **عن النكراء كلهم غبى** "٠٠٠فإن الغباوة صفة ذم، خلا أنه لما اقترن به قوله: " وبالمعروف كلهم بصير " كان دليلا على المدح" [١]٠

١٥. الإيضاح:

حد العلوى الإيضاح بقوله: هو " عبارة عن أن يُرَى فى كلامك لبسا يكون موجها، أو خفى الحكم، فتردفه بكلام يوضح توجيهه ويظهر المراد منه" [٢]٠

ومما ورد فيه الكلام موضحا لتوجيهه قول الشاعر :

يُذَكرُنيكَ الخَيرُ والشَّرُ كلُّه وفيكَ الحَيَا والعِلْمُ والحِلْمُ والجَهْلُ

فألفاكَ عنْ مكْروههَا متَنَزِّها وألْقَاك فى محبُوبِها ولكَ الفَضْلُ

فالبيت الأول دال على التوجيه؛ إذ يحتمل أن يكون المراد المدح؛ لأن صرح بأن فيه الخير وفيه الحلم، ويحتمل أن يريد ذمه؛ لأنه صرح بأن فيه الشر والجهل، فإذا قال بعد ذلك فى البيت الثانى: إنه برىء عن مكروهها، ومنزَّه عنه، وأنه فى محبوبها له الزيادة على غيره فى الصفات المحمودة . أزال ما يحتمله الأول من الذم، وأزال توجيهه الذى يحتمله [٣]٠

(١) المصدر السابق : ص ٤٤١، ٤٤٢.

(٢) الطراز : ص ٤٤٩ ٠

(١) المصدر السابق : ص ٤٤٩ ٠

** ** **

الخاتمة

وبعد ٠٠فيحسن بنا بعد هذا التطواف حول **(التوهيم)** والتعرف على حقيقته، وطرقه، وصوره . أن نوجز أهم النتائج التى تمخضت عنها هذه المسيرة، ومنها:

١. التوهيم باب فسيح، وصوره لا يحيط بها الحصر، وفى عدها تفنى الدفاتر والحبر؛ إذ يشمل كل ما يسبق إلى ذهن المتلقى من معنى بطريق الغلط أو السهو أو الظن، وقد يكون بطريق التخييل ٠
٢. يلجأ المتكلم إلى التوهيم؛ إما لغاية فنية، بقصد التمويه والخداع الفنى، وإما لدفع ضرر أوحرج عنه، أوعقاب قد يتعرض له، فيكون التوهيم خير ملاذ وأمان له ٠
٣. يعتمد المتكلم فى التوهيم على وسائل عدة منها: إيراد ألفاظ باطنها بخلاف ظاهرها، الألفاظ المشتركة، الموصول لفظا المفصول معنى، التخييل، التجريد، الاستئناف النحوى، المماثلة اللفظية ٠٠إلخ ٠
٤. قد يقع المتلقى فى دائرة التوهيم دون قصد من المتكلم، فيظن أن المتكلم قد وقع فى خطأ ما، والحق على خلافه، ومرد هذا التوهيم إما لنظرته العجلى فى النص مع احتياجه لمزيد من التأمل، وقد وقع فى هذا التوهيم كثير من الأذكياء، وبالرغم من ذلك فلا يضع هذا من قدرهم، ولا يحطهم عن مرتبتهم؛ إذ فوق كل ذى علم عليم حتى ينتهى العلم إلى ربنا عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، وإما أن يكون وقوع المتلقى فى التوهيم راجعا لقصور فيه؛ نظرا لعدم إلمامه بصناعة الكلام وعدم إحاطته بقواعد البلاغة ٠
٥. درجة انكشاف التوهيم وإماطة اللثام عن المعنى المراد تختلف من صورة لأخرى، إذ يتوقف هذا على مقدار الخفاء الذى ينطوى عليه التوهيم، ومدى فطنة المتلقى، ودلالة السياق وقوة القرائن المعينة للمراد، بل قد لا يهتدى المتلقى إلى ثَلَج اليقين فى الوقوف على مراد المتكلم؛

وذلك لأن المتكلم عمد إلى خلو التركيب من الإشارات المعينة للمعنى المراد، كما هو الحال فى " **التوجيه** " ٠

٦. على الأديب أن يعمل جاهدا على رفع الالتباس والتوهيم المعيب بوسائل متعددة؛ كى يصل المعنى واضحا جليا الى ذهن المتلقى، حتى يقع التواصل والتفاعل بين الأديب ونتاجه وبين متلقى هذا النتاج، فتحدث من ثَم المشاركة الوجدانية معه من جانب المتلقى، فينفعل حينما ينفعل، ويهدأ كلما هدأ، بينما التوهيم المعيب يفوت الفرصة لحدوث هذا التواصل، ويحول دون التأثير المطلوب٠

أهم مراجع البحث

القرآن الكريم :

١. الإتقان فى علوم القرآن: للسيوطى . تح/ سعيد المندوه . طبع ونشر/ دار الفكر. بيروت . ط١ . ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م ٠
٢. أسرار البلاغة : لعبد القاهر الجرجانى . تح / ريتر . ط٣ . ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م٠
٣. إعراب القرآن وبيانه : محيى الدين درويش: طبع ونشر/ دارااليمامة بدمشق . ودار ابن كثير ببيروت . ط٣ ٠
٤. الإكسير فى علم التفسير: للطوفى البغدادى . تح ٠ د/عبد القادر حسين . الناشر/ مكتبة الآداب . المطبعة النموذجية٠
٥. الإيضاح : للخطيب القزوينى . دار إحياء العلوم . بيروت . ط٤ . ١٩٩٨ م ٠
٦. البديع فى البديع فى نقد الشعر: لابن منقذ . تح/ على مهنا . دار الكتب العلمية بيروت . ط١ .١٤٠٧هـ/١٩٨٧م٠
٧. بديع القرآن : لابن أبى الإصبع . تح ٠ د/ حفنى محمد شرف . طبع ونشر / نهضة مصر .١٩٩٧م.
٨. البرهان فى علوم القرآن : للزركشى . تح / محمد أبو الفضل إبراهيم . منشورات المكتبة العصرية . بيروت . ط٢ ٠
٩. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : د/ عبد المتعال الصعيدى . الناشر/ مكتبة الآداب . ط١٧ . ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م٠
١٠. البيان والتبيين : للجاحظ . دار الكتب العلمية . بيروت.
١١. تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدى . تح / مصطفى حجازى وآخرين . الناشر / وزارة الإعلام بالكويت . مطبعة حكومة الكويت – ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٢. التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان : للطيبى . تح ٠ د/ هادى عطية مطر. عالم المكتب . مكتبة المنهضة المعربية . بيروت. ط ١ . ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ٠
١٣. تحرير المتحبير : لابن أبى الإصبع . تح. د/ حنفى محمد شرف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة إحياء التراث الإسلامى) ٠
١٤. التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور. دارسحنون للنشر والتوزيع . تونس . ١٩٩٧ م٠
١٥. التصوير البيانى :د/ محمد أبو موسى : . مكتبة وهبة . ط٤ ـ ١٤١٨هـ /١٩٩٧م
١٦. جامع البيان في تأويل القرآن : للطبرى . تح/ أحمد محمد شاكر . الناشر/ مؤسسة الرسالة . ط١. ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م٠
١٧. جمهرة خطب العرب : أحمد زكى صفوت . المكتبة العلمية . بيروت ٠
١٨. حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص: دار السرور . بيروت ٠
١٩. خزانة الأدب: لابن حجة الحموى . تح/ عصام شعيتو . دار ومكتبة الهلال . بيروت . ط١ . ١٩٨٧م٠
٢٠. خصائص التراكيب: د/ محمد أبو موسى . مكتبة وهبة . ط٣ ٠
٢١. دراسات فى علم البديع : د/ أحمد محمد على . مطبعة الأمانة . ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
٢٢. دلائل الإعجاز : للجرجانى . تح٠د/ محمد التنجى . دار الكتاب العربى . بيروت . ط١ . ١٩٩٥م٠
٢٣. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: لابن علان الصديقى . دار القلم للتراث . ط٣ ٠
٢٤. روح المعانى :للألوسى . دار إحياء التراث العربى . بيروت إدارة الطباعة المنيرية . ط٤.١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م٠

٢٥. سبل السلام : للصنعانى : . تح/ محمد عبد العزيز الخولى . دار إحياء التراث العربى . بيروت . ط٤ .١٣٧٩ ٠
٢٦. سنن الترمذى: تح/أحمد محمد شاكروآخرون . دار إحياء التراث العربى . بيروت٠
٢٧. السنن الكبرى: للبيهقى . تح/ محمد عبد القادر عطا . مكتبة دار الباز . مكة المكرمة . ١٤١٤هـ/١٩٩٤م٠
٢٨. السنن الكبرى: للنسائى . تح٠د/عبد الغفار سليمان وآخرين . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١. ١٤١١هـ/١٩٩١م٠
٢٩. شرح ديوان الحماسة : للتبريزى . عالم الكتب . بيروت ٠
٣٠. شرح عقود الجمان : للسيوطى . مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر . ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ٠
٣١. شرح المفضليات : للتبريزى . تح/ محمد على البجاوى . طبع ونشر دار نهضة مصر ٠
٣٢. شرح مقصورة ابن دريد : للتبريزى . المكتب الإسلامى للطباعة والنشر بدمشق . ط١ . ١٣٨٠هـ/١٩٦١م ٠
٣٣. شرح النووى على صحيح مسلم . دار إحياء التراث العربى . بيروت . ط٢. ١٣٩٢هـ٠
٣٤. صحيح البخارى تح٠د/ مصطفى ديب البغا . دار ابن كثير، اليمامة - بيروت .١٤٠٧هـ/١٩٨٧م٠
٣٥. صحيح مسلم :تح/ محمد فؤاد عبد الباقى . دار إحياء التراث العربى . بيروت ٠
٣٦. الصنيع البديع فى شرح الحلية ذات البديع : لابن زاكور الفاسى . تح / بشرى البداوى . مطبعة النجاح الجديدة . الدار البيضاء . ط١ . ٢٠٠١هـ/٢٠٠٢ م٠

٣٧. الطراز : للعلوى . تح/ محمد عبد السلام شاهين . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م٠
٣٨. عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص :للسبكى . دار السرور. بيروت ٠
٣٩. عكس الظاهر فى ضوء أسلوب القرآن الكريم ولغة العرب: د/عبده زايد . دار الصحوة – ط١ – ١٤١٢هـ –١٩٩٢م٠
٤٠. علم البديع (القسم الثانى) :د/ بسيونى عبد الفتاح فيود . مطبعة السعادة . ط١.٤٠٨١ هـ/ ١٩٨٧م٠
٤١. علم المعانى: د/ بسيونى عبد الفتاح فيود . مؤسسة المختار ـ ط١.١٤١٩هـ / ١٩٩٨م٠
٤٢. العمدة : لابن رشيق . تح/محمد محيى الدين عبد الحميد . الناشر/ دار الجيل . بيروت . ط٥ . ١٤٠١هـ /١٩٨١م ٠
٤٣. فتح البارى فى شرح صحيح البخارى: لابن حجرالعسقلانى . تح/ محمد فؤاد عبد الباقى وآخرين . دار المعرفة . بيروت . ١٣٧٩هـ٠
٤٤. فض الختام عن التورية والاستخدام : للصفدى . تح ٠د./المحمدى الحناوى . دار الطباعة المحمدية . ط١ .١٣٩٩هـ/١٩٧٩م٠
٤٥. الخطابة: لأرسطوطاليس: ص ٢٢٠. ترجمة ٠د/عبد الرحمن بدوى . طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد . ١٩٨٦م٠
٤٦. فيض القدير : للمناوى . دار الفكر. بيروت. ط١.١٤١٦ هـ/١٩٩٦م٠
٤٧. الكاشف عن حقائق السنن: للطيبى . تح ٠د./ عبد الحميد هنداوى . مكتبة نزارمصطفى الباز . الرياض . ط١. ١٤١٧هـ/١٩٩٧م٠
٤٨. الكشاف : للزمخشرى . تح/ يوسف الحمادى . الناشر/ مكتبة مصر ٠
٤٩. المثل السائر: لابن الأثير. تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . بيروت . ١٩٩٥م ٠

٥٠. مراجعات فى أصول الدرس البلاغى: د/ محمد أبو موسى . مكتبة وهبة . ط١.١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥ م ٠
٥١. المطول على التلخيص : للتفتازانى . مطبعة أحمد كامل . ١٣٣٠هـ ٠
٥٢. مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : لابن هشام الأنصارى . تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . بيروت . ١٤١١هـ/ ١٩٩١م٠
٥٣. مفاتيح الغيب : للرازى: . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١ . ١٤١١هـ /١٩٩٠م
٥٤. مفتاح العلوم :للسكاكى . تح/ نعيم زرزور . دار الكتب العلمية . بيروت . ط ٢ . ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ٠
٥٥. المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء : لأبى العباس الجرجانى . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١ . ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م٠
٥٦. المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع: للسجلماسى . تح٠د/ علال الغازى . مكتبة المعارف . المغرب . مطبعة النجاح الجديدة٠
٥٧. من وجوه تحسين الأساليب فى ضوء بديع القرآن : د/محمد إبراهيم شادى: . مطبعة السعادة .١٤٠٨١هـ/ ١٩٨٧م٠
٥٨. مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص : دار السرور . بيروت ٠
٥٩. نظرات فى البيان:د/ محمد عبد الرحمن الكردى . مطبعة السعادة .١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م٠
٦٠. نقد الشعر : لقدامة بن جعفر. تح ٠ د/ محمد عبد المنعم خفاجى . الناشر/ مكتبة الكليات الأزهرية . دار عطوة للطباعة . ط١. ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ٠

** ** **